جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
مركز البحوث والدراسات الإسلامية

الموسوعة الإسلامية
(٨)

ابنُ السّيِدِ البَطَلْيُوسِيّ

اللغويّ الأديب (٤٤٤هـ - ٥٢١هـ)

حياتُهُ - منهجُهُ في النَّحو واللغةِ - شعرُهُ

أ.د. صاحب أبو جناح

١٤٢٨هـ
٢٠٠٧م

الطبعة الأولى

MBDAW
مركز البحوث والدراسات الإسلامية

الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية
برقـــــم ٣٩٥
لســــنة ٢٠٠٧

جميع مطبوعات المركز محكمة علمياً

العراق - بغداد -سبع أبكار - ديوان الوقف السني
e-mail: mabdaw@yahoo.com
صندوق البريد ٥٣٠٠٨ باب المعظم

جميع الآراء التي في هذا المطبوع لا تمثل رأي المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة[١]

لا مراءَ في أنَّ الحديث عن شخصية متعدّدة الجوانب والمواهب، مثل شخصية أبي محمّد بن السِّيد البطليوسي تبدو مغامرة غير مأمونة العواقب. فحينما تنهض الهمّة برجل لأن يعاني دراسة اللغة والنحو والأدب والفقه والحديث والفلسفة والشعر وتدريسها والتصنيف فيها، فإنَّ ذلك يضع أمام دارسه صعوبات لا حصر لها تحُول دون تقديم صورة بينة المعالم والقسمات لمجمل هذه الاهتمامات والجهود.

وقد يبدو الأمر أكثر عسراً ومشقّة حين يكون الدّارس شديد الإحساس بالمسؤولية فيما يقرّر ويرى من تفسيرات وأفكار، وبخاصة حين تكون اهتماماته بالأصل منصرفة إلى جانب معيّن من جوانب الثقافة اللغويّة.

١) نُشِرَت هذه الدّراسة في صورتها الأولى في مجلّة المورد البغدادية؛ العدد الأول من المجلد السّادس، الصادر عام ١٩٧٧م.

وإذا أضفنا إلى هـذا كلّـه حقيقـة معروفـة ومؤسـفة أيضاً مؤداها أنّنا لا نملك بين أيـدينا مـن تـراث الأندلسـيين إلا النّزر اليسـير وأنّ جـلّ هـذا الـذي بقـي لنـا لا يـزال مخطوطاً بعيداً عن متناول الدّارسين لا سـيّما هـؤلاء الـذين يقطنون بعيداً عن العواصم التـي تسـتقطب مراكـز الثقافـة ومؤسساتها الكبرى[١]؛ إذا قرّرنـا ذلـك تجلّـت لنـا صـعوبة الإقدام علـى وضـع ترجمـة وافيـة ودراسـة كاملـة عـن شخصيّة أندلسيّة متعدّدة الاهتمامـات خطيـرة المنزلـة مثـل شخصية أبي محمد البطليوسي.

غير أنّ الإيمان بالحكمة القائلة بـأنّ ''مـا لا يُـدرَك كلّه لا يُترَك جلّه'' سيدفعنا إلى مقاومة التحـرّج مـن الإقـدام على هذه المحاولة على مـا فيهـا مـن مزالـق وصـعوبات محاولين الاستفادة إلى أقصى غاية مـن المراجـع التـي بـين أيدينا سواء كانت كتب تراجم وطبقـات أو كتبـاً فـي النّحـو واللغة أو سـواها مـن فنـون الثقافـة، وسـيكون اهتمامنـا منصـباً علـى وضـع ترجمـة وافيـة ـ قـدر الإمكـان ـ لشخصية ابن السِّيد، وثبت بأعمالـه ومصـنّفاته التـي ذكرهـا أصحاب التراجم أو وصلت إلينا مطبوعـة او مخطوطـة. ثـم

---

١) كُتِبَت هذه الدّراسة في أثناء اشتغالي في جامعة البصرة.

تأتي محاولة أخرى للحديث عن منهجه وآرائه في اللغة والنّحو من خلال ما ترك من مصنّفات وما نقل عنه في كتب النّحو الأخرى من آراء ومسائل.

تجيء بعد ذلك محاولة متواضعة لدراسة أشعاره دراسة نقدية تهدف إلى تقويمها من ناحيتي المضمون والمستوى الفني فيها، ثمَّ جمع هذه الأشعار وتحقيقها من خلال المظان المطبوعة والمخطوطة المتيسّرة لنا.

وربَّما أكون أنا أدرى من غيري بمواضع النّقص التي فرضت على هذه الدراسة من جرّاء الظروف التي نوّهت بها، ولكنَّ ذلك لا ينبغي أن يدفعنا إلى إهمال المسألة برمّتها بل تقتضي الضرورة أن نبذل الجهد في حدود ما يتاح لنا من وسائل؛ ولعلّ الفرص القادمة التي تتوافر لنا أو لمن يخلفنا من الباحثين كفيلة بتلافي هذا القصور، وحسبنا الاعتراف بذلك لجمهور القرّاء ولن يبخلوا علينا بقبول العذر.

صاحب أبو جناح

أولاً: سيرتـه

أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن السِّيد البطليوسي.

والسِّيد (بكسر السين وسكون الياء) من أسماء الذئب؛ والأنثى سِيدَة، والجمع سِيدان.

وبَطَلْيُوس "بفتح الباء والطاء وإسكان اللام وضم الياء" ***Badajoz*** من مدن غربيّ الأندلس[١]؛ وتقع اليوم على الحدود الشرقية للبرتغال. وكانت عاصمة بني الأفطس التجيبيين في عهد ملوك الطوائف (٤١٣ــ٤٨٧).

وإنَّما ينسب ابن السِّيد إلى بَطَلْيُوس لمولده بها، وملازمته إيّاها زماناً، أمّا أسرته فهي من شلب[٢].

وشِلْب (بكسر الشين وسكون اللام) مدينة بغرب الأندلس، وهي قاعدة ولاية أشكونية. قال ياقوت: بلغني أنه ليس بالأندلس بعد إشبيلية مثلها.. وسمعت ممّن لا أحصي أنَّه قال: قلّ أن ترى من أهلها من لا يقول شعراً ولا يعاني الأدب، ولو مررت بالفلاح خلف فدّانه، وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه وأي معنى طلبت منه![٣].

---

١) معجم البلدان (ط أوربا) ١/٦٦٤

٢) المغرب ٢/٢٨٥، وأزهار الرياض ٣/١٠٥.

٣) معجم البلدان ٣/٣١٢.

وما بين أيدينا من تراجم ابن السِّــيد[1] لا تــذكر شــيئاً عن أسرته سوى أخيه علي بن محمّــد المعــروف بالخيطــال

---

١) ممّن ترجم لابن السِّيد صاحبه ومعاصره الفتح بن خاقان فــي كتابــه ''قلائد العقيان'' ص٢٠٠ وما بعدها، ط تونس، ص ١٩٣ ط مصر. وكذلك ترجم له في كتاب آخر نقله المقــري كــاملاً فــي ''أزهــار الرياض'' ١٠٣/٣، كما ترجم له معاصره ابن بشــكوال فــي كتابــه ''الصلة'' ٢٩٢/١، والقفطيّ في ''انباه الرواة'' ١٤١/٢، وابن خلّكان في ''وفيات الأعيان'' ٩٦/٣ (ط بيروت)، واليــافعي فــي ''مــرآة الجنان'' ٢٢٨/٣ ط٢، والضبّي في ''بغية الملــتمس'' ٣٣٧، وأبــو الفداء في ''البداية والنهاية'' ١٩٨/١٢، والسّيوطي في ''بغية الوعاة'' ٢٨٨، وابن فرحون في ''الديباج المذهب'' ١٤٠، وابن العمــاد فــي ''شذرات الذهب'' ٦٤/٤، وإسماعيل باشــا في ''هــدية العارفين'' ٤٥٤/١، والخونساري في ''روضات الجنات'' ٤٣١ ط٢، والمقــري في أزهار الرياض ١٠١/٣، وفي ''نفــح الطّيــب'' ١٨٤/١، وابــن الجزري في ''غاية النّهاية'' ٤٤٩/١. وترجم له من المعاصرين السّيد سعيد عبد الكريم سعودي في مقدمته لتحقيق كتاب ''إصــلاح الخلــل الواقع في كتاب الجمل''، المنشور ببغداد عام ١٩٨٠م؛ والسّيد خالــد محسن ناجي في رسالته للماجستير بعنوان (ابن السِّيد اللغــوي) وقــد قدّمها إلى جامعة بغداد عام ١٩٧٥م؛ والدكتور حمزة النّشــرتي فــي مقدّمة تحقيقه لكتاب ''ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة'' المنشور في القاهرة عام ١٩٨٢م؛ وكذلك الدكتور علي زوين في مقدّمــة تحقيقــه للكتاب نفسه، المنشور ببغداد عن وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيــة؛=

(ت٤٨٠هـ)[١]؛ وكان قد اشتغل بعلـــوم العربيـــة، وروى عنـــه أخوه أبو محمّد كثيراً من كُتُــب الأدب، مــن ذلــك[٢]: كتــاب (النوادر) لابن مِقسَــم، وكتابــا (الخيــل) و(مقاتــل الفرســان) لأبي عبيدة، وكذلك كتاب (النّقائض) لـــه، و(أراجيـــز العجّـــاج وابنـــه رؤبـــة)، و(نـــوادر) اللحيـــاني، و(الأصـــمعيات)، و(المفضّليات)، وغيرها.

وكانـــت ولادة ابـــن السِّـــيد عـــام ٤٤٤هـ بمدينـــة بَطَلْيُوس، وبها نشأ وتلقّـــى علومـــه مـــن بعـــض مشـــايخها، ومنهم: أبو بكر عاصـــم بـــن أيـــوب الأديـــب، وأبـــو ســـعيد الـــورّاق، وأبـــو علـــي الغسّـــاني، وأخـــوه علـــي بـــن محمد[٣]. وإذا كانت مصادر ترجمة ابن السِّـيد لا تهـدينا إلـــى

=والدكتور صلاح الفرطوسيّ في مقدّمة تحقيقــه لكتــاب ''المثلــث'' المنشور ببغداد عام ١٩٨١م؛ والدكتور محمد رضوان الدّاية في مقدّمة تحقيق كتاب ''الحدائق'' المنشور في دمشق عام ١٩٨٨م.

١) تنظر ترجمة (الخيطال) في الصّلة ٢/٤٢١.

٢) فهرست ابن خير ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٩٠، ٤١٢ وغيرها.

٣) الصلة، ابن بشكوال ١/٢٩٢، والديباج المذهب، ابــن فرحــون ١٤٠. والغسّانيّ هو حسين بن محمد بن أحمد، رئيس المحدثين بقرطبة كـــان من جهابذة المحدثين، وكان حسن الخط، جيّد الضبط له بصر باللغـــة والإعراب، ومعرفة الغريب والشعر والأنساب، وجمع من ذلك كلّه ما لم يجمعه أحد في وقته، كما يقول ابن بشكوال. تـــوفي ســـنة٤٩٨هـ.=

معرفة الكثيـــر مـــن أخبـــاره ونشـــاطه فـــي الحيـــاة العامـــة وصلاته بمعاصريه من الحكام أو رجال الفكـــر فـــإنَّ أشـــعاره هيّأت لنا قدراً غير يســـير مـــن الإشـــارات والقـــرائن التـــي تفصح لنا عن هذه الصّلات ومـــا ارتـــبط بهـــا مـــن علائـــق كانت تجمع بينه وبين معاصريه.

فقد عاش ابن السِّيد في كنف بنـــي ذي النّـــون ملـــوك طليطلة وامتدح منهم المأمون يحيـــى بـــن إســـماعيل بـــن ذي النّـــون الـــذي حكـــم أكثر مـــن ثلاثـــــة وثلاثيـــــن عامـــــا (٤٢٩ــ٤٦٧) كما امتدح حفيده القادر يحيـــى بـــن إســـماعيل الذي حكم بعد جده، وكان ســـيء الـــرأي، فاضـــطربت علـــى عهده أمور الدولة، وثارت حوله الفـــتن حتـــى انتهـــت بمقتلـــه في حوالي عام ٤٧٨هـ وامتـــدح مـــنهم أيضـــاً الظـــافر عبيـــد الرحمن بن عبيد الله بن ذي النون غير مرة.

وكانت لابن السِّيد وشـــائج صـــداقة تربطـــه بـــوزراء بني ذي النون، ومنهم الوزير الكاتـــب أبـــو بكـــر بـــن عبـــد العزيز (أبو عبد الملك) وكان عاملاً علـــى بلنســـية لبنـــي ذي

=الصلة ١/١٤٢. وشيخه الثاني عاصم بن أيوب الأديب، وكنيته أبـــو بكر من أهل بَطَلْيُوس، كان من أهل المعرفة بالآداب واللغات، ظابطـــاً لهما مـــع خيـــر وفضل، وثقة فيما رواه، توفـــي سنة ٤٩٤هـ. الصلة ٢/٤٥١.

النّون، وخرج على طاعتهم إثـر مقتـل الـوزير أبـي بكـر محمد بن الحديدي في قصـر القـادر عـام ٤٦٨هـ[١] وارتـبط أيضاً بصداقة أبي محمد بـن الفـرج الـوزير الكاتـب، وقـد كان يتولى تدبير الأجناد والأعمـال الديوانيـة عنـد المـأمون بن ذي النون[٢].

وكانت له علاقة صداقة تربطه بـالوزير أبـي عيسـى بن لبّون من وزراء المأمون وكان كاتبـاً شـاعراً[٣]؛ وامتـدح أيضاً الوزير أبا بكر محمد بن الحديـدي الـذي كـان يتـولى النظر في المظالم عند المأمون بن ذي النـون وكانـت نهايتـه عام ٤٦٨هـ كما مرت الإشارة اليه منذ قليل.

ويبدو أنّ اضطراب أحوال الدولة علـى عهـد القـادر وتوالي الفتن وفجيعة ابن السِّيد بأخيه علي بـن محمّـد الـذي مات في الحبس[٤] كل ذلك اضـطره إلـى أن يغـادر المملكـة متوجّهـاً إلـى شـنتمرية (**SantaMaria**) عاصـمة بنـي رزين أصحاب السّهلة. وكان على رأس دولـتهم عبـد الملـك أبن هذيل بن عبد الملك الذي طـال أمـد حكمـه حتـى بلـغ

---

١) لابن السِّيد قصيدة في رثاء الوزير أبي بكر بن عبد العزيز.

٢) لابن السِّيد قصيدة في مدح أبي محمد بن الفرج.

٣) في المغرب ٣٧٦/٢ حديث عن ابن لبّون هذا، وشيء من شعره.

٤) ينظر خبر هذا في الصلة ٤٢١/١.

ستين عاماً، وكانت وفاته عام ٤٩٦هـ؛ وبوفاتــه كانــت نهايــة مملكتــه التــي اســتولى عليهــا المرابطــون القــادمون مــن المغرب، وذلك عام ٤٩٧هـ. وقد أحسن ابــن رزيــن اســتقبال ابن السِّيد وجعله في كتابه فقد ''رفعــه أرفــع محــلّ، وأنزلــه منزلة أهل العقد والحل'' كمــا يقــول ابــن خاقــان[١]. وفــي قصيدة لابن السِّيد يمدح فيها ابــن رزيــن إشــارة إلــى ذلــك قال:

سرى بارق من بشره غير خُلَّبِ　　إلــى أرض آمالي فأورق عودها
وبوّأنــي من مجده فــي مكانــةٍ　　سعودُ النجوم الزاهرات صعيدُها

وكانت دولة ابن رزيــن كمــا يصــفها ابــن خاقــان موقف البيان ومقذف الأعيان[٢] ولكنّــه كــان شــديد الــبطش ميّالاً إلى التنكيل، فقلما سلِم من بطشه أحــد مــن أصــحابه أو نجا من نكباته واحد ممّــن كــانوا فــي خدمتــه. ولاســباب لا نعرفها على وجه الدقّة اضطر ابن السِّــيد أن يفِــرّ مــن ابــن رزين[٣]، ويلتحق بالمســتعين بــالله أحمــد بــن محمــد بــن

---

١) أزهار الرياض ١٢٣/٣.
٢) أزهار الرياض ١٢٣/٣.
٣) وردت في مقدمة كتاب المثلث لابــن السِّــيد (٢٩٩/١) هــذه العبــارة الواضحة الدلالة ''وقد كنت صنّفت فيه (أي في المثلث) تأليفاً آخر مرتّباً على نظم الحروف حسبما فعلت في هذا التصنيف، وذلك عام ســبعين=

سليمان بن هود صاحب سرقسطة (٤٧٨ـ٥٠١هـ) وينتظم في سلك خدمته، فأحسن المستعين استقباله، وأنزله في المنزل الحسن[1].

وكانت لابن السِّيد فيه قصيدة في مدحه يشير فيها إلى خيبته مع ابن رزين في شنتمرية وهجرته منها متوجهاً إلى سرقسطة. قال:

أناخت بنا في أرض(شَنْتَمَرِيّةٍ) هواجس ظنٍّ خُنَّ والظنُّ خوّانُ
وشِمنا بروقاً للمواعيد أتعبت نواظرنا دهراً ولم يهمِ هتّانُ
فسِرنا وما نلوي على متعذّرٍ إذا وطنٌ أقصاك آوتك أوطانُ

وبقي ابن السِّيد مدة من الزمن مع المستعين، ثم بدا له أن يرحل إلى بلنسية، ليستقر فيها بعيداً عن صحبة الحكّام وأصحاب السّلطان منصرفاً إلى خدمة علوم الدّين والعربية واضعاً تصانيفه في الحديث واللغة والأدب والنّحويستقبل طلاب العلم ليأخذواعنه ما لديه من معارف

=وأربع مائة (٤٧٠هـ) وذهب عني في نكبة السلطان التي جرت عليّ وانتهب معظم ما كان بيدي'' وينظر: معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ٥٦٩. ويلاحظ أن ابن السِّيد كان بعد هذا التاريخ عند ابن رزين، والإشارة هنا إلى نكبة ابن رزين له، وفراره منه خوفاً من حبسه.

١) أزهار الرياض ١٢١/٣.

متنوّعة فقد ''كان حسن التعليم، جيد التلقين'' كما يصفه ابن بشكوال[١].

ويبدو أنه اتّجه في هذه المرحلة من حياته نحو الزّهد بعد أن عاصر الأحداث المضطربة في وطنه، وما كان يشهد من صراع عنيف يدور بين ملوك الطوائف؛ ويذهب ضحيته ملوك ووزراء وعلماء ورجال فكر وجاه. كما أنه شهد إلى جانب ذلك بدايات الصراع بين المسلمين والأسبان من جهة أخرى، وما كان يجرّ من كوارث على بعض أقطار الدولة أو الدويلات العربية المسلمة في الأندلس، وتساقط بعض مدن المسلمين ومناطقهم في قبضة الأسبان وحلفائهم من الفرنج، الأمر الذي كان يضطرهم إلى هجرة مواطنهم والنزوح منها إلى الأقطار التي كانت لا تزال تحت سيطرة المسلمين، كلّ ذلك كان يشهده ابن السِّيد ويعيش أحداثه وقد ظهر أثره في بعض قصائد الزّهد التي بقيت بين أيدينا من شعره. وهي في مجملها تعكس

---

١) الصلة ٢٩٢/١، ويلاحظ في أخبار ابن السِّيد أنه كان في قرطبة أيام صاحبها محمد بن الحاج (ت٥٢٩هـ) والظاهر انه سكنها برهة من الزمن قبل أن يرحل عنها مضطراً إلى بلنسية ليستقرّ فيها حتى وفاته عام ٥٢١هـ. والخبر في انباه الرواة ١٤١/٢، وسيأتي تفصيله في موضع قادم. وينظر الحركة اللغوية في الأندلس: ٢٦١.

روح الضّراعة والتوسّل إلـــى الله طالبـــاً الصّـــفح والغفـــران عمّا بدر منه في سالف أيامه.

وقد يكون زهده بلغ ذروته في هذين البيتين:

وما دارنا إلا مواتٌ لو أنَّنـــا نفكّر والأخرى هي الحَيَوانُ
شربـــنا بها عِزّاً بهون جهالة وشتّان عزٌّ للفتـــى وهوانُ[1]

وليس بين أيدينا من أخبار هذه المـــدة المتـــأخرة مـــن حياة ابن السِّيد شيء يذكر. ولعلّ غياب عـــدد مـــن مصـــنّفاته عنا، وقلّة المراجع الأندلســـية التـــي بـــين أيـــدينا، ولا ســـيَّما كتب التاريخ والطبقات التي أرّخـــت لهـــذه المـــدة ســـبّب فـــي فقدان الكثير من تفاصيل سيرته.

---

١) يقارن هذا النص بالنّص رقم (٨) الذي يظهر فيه ابـــن السِّـــيد متعلقـــاً بالحياة مقبلاً على لذّاتها، على نقيض مانراه هنا.

ثانياً: ثقافته

الذي يتعرّف آثار ابـن السِّـيد ومصـنفاته يجـد أنَّـه ثمرة ناضجة من ثمـار عصـره وبيئتـه. فالأنـدلس كانـت تشهد يومذاك ازدهاراً عظيماً فـي فنـون المعرفـة والثقافـة، فالدراسات القرآنية، وعلوم الحـديث تلقـى اهتمامـاً متزايـداً من الأندلسيين حكّاماً ومواطنين وحسـبنا الإشـارة هنـا إلـى التفاسير المتعددة، وكتـب إعـراب القـرآن التـي خلّفوهـا، كذلك كُتُب الحـديث والشـروح التـي وضـعوها فـي هـذا السبيل، مثـل: كتـاب (الـرّوض الأنـف) للسّـهيلي وكتـاب (شرح الموطّأ) الذي وضعه ابن السِّيد نفسه.

والدراسات الأدبية كانت تحظى باهتمـام واسـع مـن خلال دراسة أشعار المشارقة، والاهتمـام بشـروح دواويـنهم ابتداء من شعراء الجاهلية وحتـى شـعراء العصـر العباسـي الثـاني أمثـال المتنبّـي والمعـريّ وسـواهما مـن أعـلام الشعراء.

والدراسات النحويّة واللغويّة لا تقـلّ إثـارة للاهتمـام عند الأندلسيين من دراسة الأشعار وروايتهـا فأهـل الأنـدلس عاكفون على (كتاب سيبويه) دراسـةً وشـرحاً وتعليقـاً حتـى جاوزت الشروح التي وضعوها عليـه مـا وضـعه المشـارقة

أنفسهم[1]. وانصرفوا إلى كتاب الزجاجي (الجمل) شارحين ومعقّبين حتى جاوزت شروحه عندهم مائة وعشرين شرحاً[2]، فضلاً عمّا لقيته كتب النّحو الأخرى من اهتمام وما وضعوه هم أنفسهم من مصنّفات نحويّة لا يكاد يحصرها عدّ.

ولم تكن علوم اللغة وروايـة مصنّفاتها أقل حظّاً عند الأندلسيين من علمَيّ الأدب والنّحو فكلّ ما وضع في اللغة من مصنّفات كان الأندلسيون يتداولونه بالدراسة والتعليق والشرح، ولا ننسى هنا الآثار الضخمة التي خلّفوها في هذا المضمار مثل معجمي ابن سيده: (المخصّص) و(المُحكم). وفي هذا العصر أيضاً ازدهرت الدّراسات الفلسفيّة، وبرز فيها أعلام معروفون، مثل ابن باجة (ت٥٣٣هـ)، وابن السِّيد نفسه.

لهذا يجب أن لا نذهل حينما نجد همّة ابن السِّيد تتّسع لكلّ هذه العلوم والمعارف فيمارسها دراسة وتدريساً وتصنيفاً. فهو نحويّ، لغويّ، أديب، محدّث، فقيه، مقرئ، فيلسوف، شاعر، يصفه معاصره وتلميذه ابن بشكوال بأنّه

---

١) بغية الوعاة ٢٨٤، والحركة اللغويّة في الأندلس ١١٢،٢٥٨، المدارس النحويّة ٢٩٤.

٢) شذرات الذّهب ٣٥٧/٢، مرآة الجنان ٣٣٢/٢.

عالِم بالآداب واللغات، مستبحر فيهما، مقـدَّم فـي معرفتهمـا، واتقانهما[١]؛ ويصفه معاصـره وصـاحبه الفـتح بـن خاقـان بأنَّه شيخ المعارف وإمامها، لديـه تنشـد ضـوال الإعـراب، وتوجد شوارد اللغة والإعـراب[٢]. ويـرى باحـث معاصـر بأن كتابه الفلسفيّ (الحدائق) يُعـدّ أول محاولـة للتوفيـق بـين الشّريعة الإسلاميّة والفكر اليوناني[٣].

---

١) الصّلة ٢٩٢/١؛ ويلاحظ أن ابن الجزري ترجمه مع من ترجمهم مـن القرّاء في طبقاته ٤٤٩/١.

٢) قلائد العقيان١٩٣.

٣) تاريخ الفكر الأندلسي ٣٣٤. ويراجع تعليقنا على رأي بلاثيوس بشـأن (كتاب الحدائق) في موضوع (آثار ابن السِّيد) في الصّفحات المقبلة.

ثالثاً: نشاطه العلمي ومنزلته

كانت حياة ابن السِّيد حافلةً بالنّشاط العلميّ الذي تعكسه هذه الطّائفة الغزيرة من المصنّفات التي خلّفها في علوم الدين واللغة والأدب، فهو فضلاً عن اشتغاله بالكتابة الدّيوانية لدى بعض ملوك الطّوائف، كما مرّ بنا، كان يضع التّصانيف الجليلة استجابة لطلب بعض أعيان الأندلس أو ردّاً على تساؤلات عدد من أصحابه ومعارفه، وربَّما بعض مجادليه.

وإلى جانب ذلك كلّه انصرف في المرحلة الأخيرة من حياته إلى تدريس طلاب العلم حينما استقر به المقام في مدينة بلنسية. وكان شيخ المعارف وإمامها كما يصفه ابن خاقان. قال: وله تحقّق في العلوم الحديثة والقديمة، وتصرف في طرقها القويمة، ما خرج بمعرفتها عن مضمار شرع ولا نكب عن أصل للسنّة ولا فرع[1]. ووصفه في موضع آخر بقوله: إذ هو أزخر علمائنا بحراً، وأوسعهم نحراً، وأحسنهم خواطر، وأسكبهم مواطر،

---

١) الإشارة هنا إلى اشتغال ابن السِّيد بالمعارف الفلسفيّة، وهي مثيرة للجدل.

وأسيرهم أمثالاً، وأعدمهم مثـــالاً، وأصـــدقهم لســـاناً، وأعمهـــم إحساناً[1].

وينقل ابن بشكوال بأنَّ النّـــاس كـــانوا يجتمعـــون إليـــه ويقرأون عليه ويقتبسون منـــه. وقـــال: كـــان حســـن التعلـــيم، جيد التلقين ثقة ضابطاً[2].

ويصفه الضبّي بأنَّه كان ثقة مأمونـــاً علـــى مـــا قيّـــد وروى ونقل وضبط. وقال عنـــه: إمـــام فـــي اللغـــة والآداب، سابق مبرّز، وتواليفه دالّة علـــى رســـوخه واتســـاعه ونفـــوذه وامتداد باعه[3].

ويمكن أن تكون قائمة مؤلفاتـــه التـــي ســـنعرّف بهـــا مصداقاً لهذا الذي وصفه به معاصروه، ومـــن جـــاءوا بعـــدهم من أصحاب التراجم.

على أنَّ هذه الصورة الجادة الوقـــور لشخصـــية ابـــن السِّيد العالِم الفقيه المتفلسف يمكن أن نقابلهـــا بصـــورة أخـــرى للرّجل نفسه، صورة ينقلها لنـــا القفطـــيّ ونســـجّلها هنـــا دون أن نعلّق عليها تاركين للقـــارئ أن يقـــدّرها علـــى نحـــو مـــا تستحقّه من دلالة.

---

١) قلائد العقيان ١٩٣ (ط مصر)، وأزهار الرياض ١٠٥/٣.

٢) الصلة ٢٩٢/١.

٣) بغية الملتمس ٣٣٧.

قال القفطيّ في ترجمة ابن السِّيد: وكان قد سكن قرطبة في أيّام محمد بن الحاج صاحب قرطبة (ت٥٢٩هـ)[١]، وكان كاتبه علي الكاتب ومدار الأمور بقرطبة عليه، وكان له بنون ثلاثة، يسمّى أحدهم عزون، والثاني رحمون، والثالث حسون. وكانوا صغاراً في حدّ الحلم. وكانوا من أجمل الناس صوراً، وكان شكل شعورهم قطاطيّ مضفورة، وكانوا يقرأون القرآن على المقرئ، ويختلفون إلى الجامع إليه في ذلك. وكان أبو محمد بن السِّيد قد أولع بهم ولم يمكنه صحبتهم، إذ كان من غير صنفهم ولا منهم. وكان يجلس في الجامع تحت الشجرة يتعلّل في كتاب يقرأ فيه، فقال فيهم بيتين وهما:

أخفيت سقمي حتى كاد يخفيني وهمتُ في حُبّ عزّونٍ فعزّوني

ثم ارحموني برحمون فإن ظمئت نفسي إلى ريق حسون فحسّوني

وخاف على نفسه بسبب أبيهم، ففرَّ من قرطبة وخرج إلى بَلَنْسية وأقرأ بها وألّف بها تواليفه إلى أن توفي[٢].

---

١) محمد بن أحمد بن خلف التجيبي. قاضي قرطبة. استمر في القضاء إلى أن قتل ظلماً بمسجد قرطبة. الصلة ٢/٥٨٠.

٢) انباه الرواة ٢/١٤١.

هذه الحكاية التي نقلهـــا القفطـــيّ، وهـــي تعكـــس لنـــا جانباً من حياة ابـــن السِّـيد غيـــر ذلـــك الـــذي نعرفـــه مـــن مصنّفاته واهتماماته العلميّة، ويؤيّـــدها بعـــض مـــا جـــاء فـــي أشعاره من ميل إلى التمتّع بمباهج الحياة واللهـــو بمـــا يســـلّي الإنسان عن همومه وأحزانه.

يقول ابن السِّيد:

تمتـــّع بريـــعان الشّباب وظلّه ... فلا بـــدّ يومـــاً أن يبينا ويذهبا
فما العيش إلا أن تروح وتغتدي ... مُحِبًّـــاً بـــراه سقمـــه أو مُحَبَّبا

ويذهب إلى أبعد من هذا حين يقول:

سلِّ الهمومَ إذا نبا زمن ... بمدامةٍ صفراءَ كالذّهب

ويخاطب صديقه الوزيرالكاتب أبا عيســـى بـــن لبّـــون قائلاً:

قم نصطبح من قهوةٍ بكر ... حتى نُرى صرعى من السّكر
أُنُفٌ تناساها الورى حتى ... لم تجرِ في بـــالٍ ولا ذِكـــر

ولا أظنّ أنَّ هذا الشعر كان مـــن قبيـــل الهـــزل الـــذي لا يمثّل واقعاً فـــي ســـيرة الرّجـــل كمـــا ذهـــب إلـــى ذلـــك المقري(١). بل أرجّح أنَّ الرجل كـــان كغيـــره مـــن مواطنيـــه الأندلسيين، فهـــو يُعاشـــر الملـــوك والـــوزراء وذوي الجـــاه،

---

١) أزهار الرياض ٣/١٠٣.

ويغترف من لذّات الحياة، ويُقبل على لهوها، ولا يمنعه ذلك من أن يرتدي رداء الوقار، ويسلك سلوك أهل العلم حين يكون الوقت وقت جدّ، والمناسبة مناسبة اتزان وسكينة.

ومهما يكن من شيء فإنَّ هذه القصائد والمقطوعات الزهديّة التي تفيض بالضّراعة والتوسّل إلى الله وهذا الإحساس بالإثم والتقصير الذي تنوء به هذه الزهديات التي تطالعنا بين حين وآخر في أشعاره تصوّر لنا آثار المرحلة المتقدّمة في حياة صاحبنا.

ولعلّ شيئاً من هذا الذي ذكرناه كان سلاحاً بيد بعض خصوم ابن السِّيد من كتّاب المقامات دفعه إلى أن يكتب مقامة في ذمّ الرّجل والانتقاص من شأنه بل الطّعن فيه، فيصفه فيها على لسان أحد أبطالها بأنَّه ''يأتي المناكر في كلّ ناد، ويهيم في العَمَه في كلّ واد، لا يرجى له ارعواء، ولا يأسو جرحه دواء''؛ ومع أنَّ عدداً ممّن نُسبت إليهم هذه المقامة تنصّلوا منها، وتبرّأوا من تبعتها، بل انَّ بعضهم كتب في الردّ عليها مقامة أخرى[1]، فإنَّها

---

1) نسبت هذه المقامة المسمّاة بالمقامة القرطبيّة إلى الفتح بن خاقان صديق ابن السِّيد وصاحبه؛ ونسبت أيضاً إلى الكاتب أبي عبد الله بن أبي=

تظلّ تمثّل جانباً مــن شخصــيّة الرّجــل كمــا يراهــا بعــض معاصريه، وإن كانت لا تعني بطبيعة الحــال أمانــةَ كاتبهــا، وصدق ما جاء فيها.

=الخصال، فتنصّل منها. وتفصيل ذلك في تــاريخ الأدب الأندلســي، (عصرالطوائف) للدكتور إحسان عباس: ٣١٤.

رابعاً: وفاته وآثاره

١. وفاته

يُجمع مترجمو ابن السِّيد على أنَّه توفّي في مدينة بَلَنْسية في منتصف رجب من عام ٥٢١هـ. وليس هناك ما يخالف هذه الرواية في تحديد تأريخ وفاته. ولما كان مولده عام ٤٤٤هـ يكون بذلك قد عاش سبعة وسبعين عاماً حافلة بالنشاط العلمي الدّائب والتقلّب في مجالات الحياة الأندلسية التي كان يعصف بها الاضطراب السّياسي والصّراع المستمر بين ملوكها المسلمين حيناً والمسلمين والأسبان أحياناً أخرى.

٢. آثاره

ترك ابن السِّيد مجموعة قيّمة من المصنّفات جاوزت عشرين مصنّفاً وشملت مختلف علوم العصر من أدب، ولغة، ونحو، وفقه، وحديث، وفلسفة، وغيرها.

وسندرج هنا أسماء هذه المصنّفات محاولين أن نعرّف بما وصل إلينا منها مشيرين إلى ما فاتنا الاطلاع عليه:

١. أبيات المعاني:

لم يذكر واحد ممّن ترجموا لابن السِّيد من القدماء هذا الكتاب في مصنّفاته، ولكنّ البغداديّ ذكره في مقدّمة الخزانة ٩/١ على أنه من المراجع التي أفاد منها في كتابه، وذكره بروكلمان في الملحق ٧٥٨/١ والظّاهر أنّه على غرار كتاب ابن قتيبة (المعاني الكبير في أبيات المعاني)، وما أُلِّفَ على شاكلته من كتب في ''أبيات المعاني'' التي تجمع فيها عيون الأشعار والمقاطع التي تتضمّن معاني مختارة وصوراً شعريّة بديعة مبتكرة.

٢. الاسم والمسمّى:

ذكره بروكلمان ٧٥٨١/١ (الملحق) وذكر أنّ منه نسخة في مكتبة فيض بالأستانة تحت رقم ٢١٦١. وهو رسالة صغيرة في ثلاث ورقات تقع ضمن مجموع (٩٣ـ٩٥)؛ ونُشِرَت الرّسالة في مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق ج٢، م٤٧ بتحقيق أحمد فاروق.

٣. إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل:

ويتضح مضمون هذا الكتاب من عنوانه، وفيه

يتعقب ابن السِّيد أبا القاسم الزجاجيّ في كتابه (الجمل) ويستدرك عليه ما وقع فيه من ''أغلاط واختلال في كلامه'' كما يعبر في مقدمة كتابه. وتتألف مسائل الكتاب من اعتراضات على حدود الزجاجيّ لبعض أقسام الكلام مثل: الاسم والفعل والحرف، واستدراكات لبعض ما يهمله من الشروط، واعتراضات على بعض تقسيماته. ويتتبع أيضاً اختلاف آراء الزجاجيّ في المسألة الواحدة، على أنَّه لا يبخس الرجل حقه فهو يقول في المقدمة: وليس اختلال بعض عباراته ممّا يخل بمحله في العلم ومكانته في الفهم. كما يعترف بأنَّه افتتح النظر في علم النّحو بـ (كتاب الجمل).

ويكشف هذا الكتاب عن سعة اطلاع ابن السِّيد على آراء النّحاة المتقدّمين وآثارهم، فهو يورد في تعريف الاسم ــ مثلاً ــ آراء المبرّد والأخفش الأوسط وابن السرّاج والزجّاج والسّيرافي والكسائيّ والفرّاء وهشام الضّرير والرّياشيّ وأبي عبد الله الطوال ومعاذ الهرّاء وأبي علي الفارسيّ، كما يورد آراء أهل المنطق مثل الكنديّ وابن المقفّع والفارابيّ. كما يفعل مثل ذلك في حد الفعل، فيورد تعريفات سيبويه والأخفش والكسائيّ والفرّاء وقطرب والجرميّ والطوال و المبرّد والزجّاج

والأخفش الصّغير وابن كيسان، وتعريفات أهل المنطق مثل الكنديّ والفارابيّ[١].

ويقع الأصل المخطوط لهذا الكتاب في حوالي ستين ورقة، والواضح أنَّه ليس شرحاً على (جمل الزجّاجيّ) ولا هو أوسع الشروح التي وصلت إلينا كما يقرر محقّقه السّيد سعيد عبد الكريم سعودي، بل هو محاولة لإصلاح ما وقع من خلل في كتاب الزجّاجيّ كما قرّر مؤلّفه في مقدمته[٢]. ويذكر أنَّ ابن السِّيد أردف مباحثه هذه بكتاب آخر في (شرح شواهد الجمل) سيأتي التعريف به. والكتابان ألّفا نزولاً على رغبة أحد أعيان الأندلسيين كما هو واضح في المقدّمة[٣].

---

١) إصلاح الخلل: ٧٢،٥٨.

٢) الواضح ان أوسع شروح الجمل التي بين أيدينا اليوم هو الشّرح الكبير لابن عصفور الأشبيلي، ولابن عصفور ثلاثة شروح على الجمل؛ أوسطها يقع في نحو ألف صفحة من القطع الكبير، وقدعمل كاتب السطور على تحقيقه فأتمّه منذ عام١٩٧١م، وطبع عام ١٩٨٠م ببغداد، وأُعيد طبعه ببيروت عام ١٩٩٩م، وفي العام نفسه صدرت له طبعة مسروقة من إحدى دور النّشر ببيروت، وانتُحِل لها محقِّق ومراجع.

٣) عمل السّيد سعيد عبد الكريم سعودي على تحقيق (إصلاح الخلل) لينال به درجة الماجستير من جامعة بغداد وجعل عنوانه: (الحلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل) اعتماداً على ماجاء في بعض النسخ الخطّية=

٤. الاقتضاب في شرح أدب الكتّاب:

يعدّ هذا الكتاب من أهم مصنّفات ابن السِّيد بل هو من أهم الآثار اللغويّة والأدبيّة في المكتبة العربية عامة. ويرى ليفي بروفنسال أنَّ شهرة ابن السِّيد ترجع إلى كتابه هذا[١]. وقد عوّل على مسائله كثير من المتأخرين من النّحاة وشرّاح الشّواهد مثل ابن هشام والسّيوطي وخالد الأزهري والبغداديّ وغيرهم. ويقع هذا المصنّف في ثلاثة أقسام؛ القسم الأول في شرح خطبة ابن قتيبة في كتابه وما يتعلق بها من ذكر أصناف الكتّاب ومراتبهم وجلّ ما يحتاجون إليه في صناعتهم. والقسم الثاني في التّنبيه على ما غلط فيه ابن قتيبة أو الناقلون عنه، وما منعه من الاستعمالات اللغوية وهو جائز، والقسم الثالث في شرح شواهد ابن قتيبة وما يشكل فيها من إعراب أو معنى ثم نسبة هذه الشواهد إلى قائليها.

وتنعكس من خلال مباحث هذا الكتاب ثقافة ابن السِّيد اللغوية وسعة اطلاعه على مصنّفات اللغويين

=للكتاب. والمعروف ان (كتاب الحلل) كتاب آخر في شرح شواهد الجمل سيأتي التعريف به.

١) دائرة المعارف الإسلامية٣/٦٧٨.

الأوائل من أمثال الأصمعيّ وأبي عبيدة وابن الأعرابيّ والفرّاء وغيرهم. كما تنعكس ثقافته في علوم أخرى مثل الفقه وأحكامه والمنطق والجغرافية والهندسة والحساب وأصول الكتابة الديوانية والخط وآلاته وسائر علوم العصر.

ولا تقتصر أهمّية هذا الكتاب على المباحث اللغوية والتحقيقات الدقيقة التي يزخر بها فحسب، بل ترجع أيضاً إلى أنّه يمثل منهج ابن السِّيد اللغوي الذي يميل إلى الاتساع في رواية اللغة، وإباحة الاستعمالات اللغوية التي استبعدها لغويون تطرّفوا في تضييق دائرة هذه الاستعمالات من أمثال الأصمعيّ وابن قتيبة وغيرهما. وقد طبع كتاب (الاقتضاب) في بيروت عام١٩٠١م بعناية عبد الله البستانيّ؛ وأعيد طبعه بالتصوير منذ قريب؛ وأُعيد نشره مُحقَّقاً في مجلّدين في القاهرة.

٥. الانتصار ممّن عدل عن الاستبصار:

وضع ابن السِّيد هذا الكتاب ليردّ فيه اعتراضات أبي بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ) على شرحه لسقط الزند. وتتراوح هذه الاعتراضات بين مسائل لغوية

وأدبية وقضايا فكريّة عقليّة يثيرها شعر أبي العلاء نفسه فتتطلّب تعليقاً من شرّاحه ولاسيَّما ممّن له تمرّس بعلوم الفلسفة والعقائد، مثل ابن السِّيد. وقد نشر الدكتور حامد عبد المجيد هذا الكتاب في القاهرة عام ١٩٥٥م.

٦. التذكرة الأدبية:

انفرد بذكره القفطي، ولم يذكره أحد غيره من مترجمي ابن السِّيد.

٧. التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأمّة:

وسمّاه السيوطي والخونساري (سبب اختلاف الفقهاء). قال المقري: وهو كتاب عظيم لم يصنّف مثله[١]. ويمكن أن نضع الكتاب في المصنّفات التي تعنى بتحديد دلالة الألفاظ والفروق الدّلالية، والبحث في أقسام الدّلالة وتنوّعها وتطوّرها؛ لهذا رأى فيه المقّري نوعاً جديداً من التأليف. وقد طبع في مصر عام ١٣١٥هـ بعنوان: (الإنصاف في التنبيه على

١) أزهار الرياض ١٠١/٣.

الأسباب التـــي أوجبــت الاخـــتلاف بـــين المســـلمين فـــي آرائهم). وحققه مؤخرا الدكتور محمــد رضـــوان الدّايـــة، ونشر في دمشق.

٨. الحدائق في المطالب العالية الفلسفية العويصة:

ألّف ابن السِّيد هذا الكتـــاب ردّاً علـــى أســـئلة وجّهها إليه بعض أعيان الأندلس عن معنـــى قـــول الحكمـــاء: إنّ ترتيـــب الموجـــودات عـــن الســـبب الأول يحكـــي دائـــرة وهميّة مرجعها إلى مبدئها فـــي صـــورة الإنســـان. وعـــن قولهم: إنّ علم الإنسان يحكـــي دائـــرة وهميّـــة، وإنّ ذاتـــه تبلغ بعد مماته إلى حيث يبلغ علمـــه فـــي حياتـــه. وعـــن قولهم: إنّ في قوّة العقـــل الجزئـــي أن يتصـــور بصـــورة العقل الكلي. وعن قولهم: إنّ العدد دائـــرة وهميّـــة كـــدائرة الآحاد والعشرات ودائرة المئات ودائـــرة الألـــوف. وعـــن قولهم: إنّ صفات البـــاري تعـــالى لا يصـــحّ أن يوصـــف بها إلا على وجه السّلب، وعن قـــولهم: إنّ البـــاري تعـــالى لا يعرف إلا نفســـه، ومـــا البرهـــان علـــى بقـــاء الـــنفس النّاطقة حيّة بعد مفارقة الجســـد. وقـــد جعـــل ابـــن السِّـــيد كتابه في سبعة أبواب شرح في كـــل بـــاب منهـــا واحـــدة من هذه المقولات.

وتعكس هذه الرسالة التي تقع في ست وستين صفحة من القطع الصغير ثقافة ابن السِّيد الفلسفيّة، وتضلّعه في المعارف والنظريات الفلسفية ''فهو يؤهّل مؤلّفه للدّخول في مصافّ الفلاسفة'' كما يقول هنري كوربان[1].

وعن هذا الكتاب يقول آسين بلاثيوس: إنَّ كتاب (الحدائق) لا يمكن اعتباره مجرّد كتاب سهل الاستعمال يعين الجمهور غير المتخصصين في الفلسفة على معرفة المبادئ الفلسفيّة، بل له بفضل طابعه السهل المبسّط أهمية أخرى، وهي انه يعرض علينا صورة صادقة إلى حدّ كبير للحالة التي كانت عليها المعارف الفلسفيّة في أسبانيا الإسلامية في الفترة التي ألّف فيها.

ويقول: وعلاوة على ذلك كله فإن كتاب (الحدائق) يعتبر أول محاولة للتوفيق بين الشّريعة الإسلامية والفكر اليوناني[2]. وقد طبع هذا الكتاب في مصر عام

---

١) تاريخ الفلسفة الإسلامية؛ هنري كوربان ٣٥٠، بيروت ١٩٦٦م.

٢) تاريخ الفكر الأندلسي٣٤٤. وقد يكون رأي بلاثيوس هذا عرضة للنقاش فقد سبق ابن السِّيد فلاسفة آخرون إلى هذه المحاولة نذكر منهم الفارابي والكندي.

١٩٤٦م نشره عزة العطار ، كما نشره في أسبانيا آسين بلاثيوس مع ترجمة له إلى الأسبانية عام ١٩٤٠م؛ وحقّقه أيضاً الدكتور محمد رضوان الدّاية، ونشره مع مقدّمة وافية في دار الفكر بدمشق عام ١٩٨٨م.

٩. الحلل في شرح أبيات الجمل:

ويشكل هذا الكتاب القسم الثاني المكمّل لكتاب (إصلاح الخلل)، ففيه شرح لشواهد الزجّاجي في كتاب (الجمل) على غرار شرح شواهد ابن قتيبة في (أدب الكاتب). ولذلك نجد هذا الكتاب، وكتاب (إصلاح الخلل) مجموعين في مجلد واحد في عدد من نسخهما الخطّية، مثل نسخة دار الكتب المصريّة رقم (١١١٠ نحو) ونسخة مكتبة الأوقاف في بغداد رقم ٢٣٨١؛ وقد حقّقه الدكتور مصطفى إمام، ونُشِر في القاهرة.

١٠. رسالة إلى قبر النبيّ:

كَتَبَها ابن السِّيد، وبعثَها مع قصيدةٍ إلى قبر النّبيّ ﷺ؛ ذكرَها ابن خير الأشبيلي في فهرسته ٤٢٠؛ ونَشَرَها يعقوب الفلاحيّ رسالته للماجستير

(ابـــن السِّـــد البَطَلْيوســـيّ وجهـــوده فـــي اللغـــة ص١٨٥ــ١٨٦، وهي فـــي كتـــاب (الـــذّخيرة) لابـــن بسّام، وأورد الفتح بـــن خاقـــان القصـــيدة فـــي كتابـــه (قلائد العقيان) ص٢٣٠، وانظـــر المقطوعـــة (٩) مـــن أشعاره.

١١. رسالة إلى أبي عبد الله بن محمد بن خلصة:

ذكرها ابن خير الأشبيلي ٤٢٠.

١٢. شرح الخمس المقالات الفلسفيّة:

ذكره بروكلمـــان ٧٥٨/١ (الملحـــق) وذكـــر أنَّ منـــه نسخة خطية ببرلين برقم ٧،٤٦٤.

١٣. شرح ديوان المتنبي:

ذكره ابـــن خلكـــان ٩٦/٣ والمقـــري فـــي (أزهـــار الرياض) ١٠١/٣ وإسماعيل باشا البغـــدادي فـــي (هديـــة العارفين) ٤٥٤/١ والسيوطي في (بغيـــة الوعـــاة) ٢٨٨ والخونساري في (روضات الجنـــات) ٤٣١. قـــال ابـــن خلّكان: ولم أقف عليه.

١٤. شرح سقط الزّند:

وضعه ابن السِّيد استجابة لطلب أحـد أعيـان الأنـدلس كما يوضح في مقدّمتـه، وذلـك أنَّ أبـا العـلاء ـ كمـا يقول ابن السِّيد ـ سلك في السّقط غيـر مسـلك الشّـعراء، وضمنه نكتاً من النّحـل والآراء، وأراد أن يـريَ معرفتـه بالأخبار والأنساب وتصـرّفه فـي جميـع أنـواع الآداب. فـأكثر فيـه مـن الغريـب والبـديع، ومـزج المطبـوع بالمصنوع، فتعقّدت ألفاظه وبعُدت أغراضه[١].

وقد رتّب ابن السِّـيد شـعر المعـرّي علـى حـروف المعجم، فلمّا لم تف أشـعار سـقط الزّنـد بهـذه الحـروف أضاف إليها من اللزوميات وغيرها مـن دواويـن المعـرّي ما يكمل عدتها.

تتجلى خلال هـذا الشّـرح الثقافـة اللغويـة الواسـعة التي يتمتّع بها ابـن السِّـيد، كمـا تتجلـى أيضـاً معارفـه الفلسفية وسعة تمرّسه بـأقوال الفلاسـفة ونظريـاتهم، وهـو يصرّح في موضع آخر بـأنَّ شـعر أبـي العـلاء يضطـر شارحه إلى ذكر الفلاسفة المتقـدّمين الطبيعيـين والإلهيـين، على ما في هـذا مـن حـرج وإشـكال، لأنَّ هـذا الشّـعر

---

١) شروح سقط الزند ١/١٥.

يتضمن نكتاً من المذاهب والآراء، ومن تعاطى تفسير كلامه وشعره، وجهل هذه العلوم بعُدَ عن معرفة ما يومي إليه. ولهذا لا يفسّر شعره حقّ تفسيره إلا من له تصرّف في أنواع العلوم(١).

ويعد هذا الشرح أقوى الشروح وأوفاها، ويمتاز بكثرة التعرض للتحقيق في المسائل اللغويّة والنحويّة. وقد أكثر فيه من الموازنة بين معاني المتنبي وأبي العلاء والمقابلة بينهما لأنّه شرح ديوان المتنبي أو درس شعره دراسة جيدة(٢).

وكان اهتمام الأندلسيين بشعر أبي العلاء والمتنبّي يشكل ظاهرة من ظواهر الحياة في ذلك العصر، فقد كان لهذين الشاعرين مكانة سامية في نفوس الأندلسيين(٣). وكان الكثير من الأندلسيين يأتمّ بهما في نظم الشعر، ويحتذي أسلوبهما بما يعنيه ذلك من جزالة في اللفظ وقوّة في تدفقه وسبكه.

وقد طبع هذا الشرح بضمن كتاب واحد يحتوي أيضاً على شرحي التبريزيّ والخوارزميّ يقع في خمسة

---

١) الانتصارممّن عدل عن الاستبصار، المقدمة.

٢) شروح سقط الزند، المقدمة؛ والجامع في أخبار أبي العلاء ٢/٧٧٠.

٣) تاريخ الأدب الأندلسي؛ د. إحسان عباس. ١٠٩.

مجلدات نشرته لجنة إحياء آثار أبي العلاء في القاهرة بعنوان (شروح سقط الزند).

١٥. شرح شعر المعري:

ذكره ابن خير في فهرسته ٤١٩ بعد أن ذكر أيضاً في موضع سابق شرح سقط الزند ٤١٢ والظاهر انهما كتابان مختلفان.

١٦. شرح فصيح ثعلب:

وهذا الكتاب لم يذكره أحد من مترجمي ابن السِّيد ممن اطّلعنا على كتبهم، لكنَّ السيوطي نقل عنه في (المزهر) في جملة مواضع. وذكره أيضاً صاحب (كشف الظنون)[١].

١٧. شرح الموطّأ:

وسمّاه الفتح بن خاقان (المقتبس في شرح موطأ مالك بن أنس). وذكره ابن بشكوال ٢٩٢/١، والقفطيّ ١٤١/٢، وابن خلكان ٩٦/٣، وغيرهم.

---

١) ينظر: المزهر ٢٠١/١، ٢١٥، ٢٢٤، ٢٧٢، ٣٠٨، ٤٧٤، ٤٧٥، ٩٣/٢، ١٠٧، ١٩٥، ٢٠١. وكشف الظنون ١٢٧٣/٢.

١٨. علل الحديث:

ذكره ابن خير الإشبيلي وذكر أنَّه جزء ٢٠٤.

١٩. الفرق بين الحروف الخمسة؛ الظاء والضاد والذال والصاد والسين:

نُشِرَ هذا الكتاب مُحَقَّقاً في حلقات في مجلة كليّة اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب، ونشره الدكتور حمزة عبدالله النشرتي في دار المريخ للنشر بالسعودية، وطبع في القاهرة عام ١٩٨٢م، وحقّقه أيضاً الدكتورعلي زوين ونشر ببغداد بضمن مطبوعات وزارة الأوقاف.

ويذكر هنا أنَّ أبا الفهد النحويّ تلميذ أبي بكر بن الخيّاط وضع رسالة في هذه الحروف سماها (كتاب الظاء والضاد والذال والسين والصاد)(١).

ويذكر بروكلمان ١/٧٥٨ (ملحق) أنَّ كتاب ابن السِّيد نُشر في مجلة الدراسات الشرقية الألمانية عدد ٦٤.

---

١) فهرسة ابن خير ٣٦٣.

وقد قال عنه ابن خلّكان ٩٦/٣: جَمَعَ فيه كلّ غريب. والكتاب موسوعة لغويّة، ومعجم صوتيّ؛ ذَكَرَ المؤلفُ أنه أوردَ فيه المشهور، وأهملَ الغريب المهجور عند الجمهور؛ لكنَّ مادة الكتاب ضمّن الكثير من الغريب كما قيّد ابن خلّكان.

٢٠. فهرست ابن السِّيد:

ذكره ابن خير فيما رواه عن شيوخه ٤٣٣.

٢١. قصيدة في رثاء ديك:

ذكره ابن خير فيما رواه عن شيوخه ٤٣٣.

٢٢. المثلث:

ذكره ابن خير ٣٦٢، والقفطي ١٤١/٢، ووصفه بأنَّه كبير. وذكره ابن خلكان وقال عنه: في مجلدين، أتى فيه بالعجائب، ودل على اطلاع عظيم، فإن (مثلث) قطرب في كرّاسة واحدة، واستعمل فيه الضرورة وما لايجوز، وغلط في بعضه.

ولهـــذا الكتـــاب نســـخ خطّيـــة فـــي مصـــر وأميركـــا والمغرب[١].

ونُشِرَ الكتاب فـــي بغـــداد بتحقيـــق الـــدكتور صـــلاح الدين الفرطوسيّ فـــي مجلّـــدين عـــن وزارة الثقافـــة عـــام ١٩٨١م.

٢٣. مسائل في العربية وغيرها:

ذكـــره ابـــن خيـــر فـــي فهرســـته ٣١٦، وقـــال فـــي التعريـــف بمضـــمونها: منهـــا مســـألة ســـحنون، ومســـألة التشميت، والفرق بين التوابع الخمسة.

ولعله هو الذي سمّاه السّيوطي فـــي البغيـــة: (المســـائل المنثورة فـــي النحـــو) وتابعـــه إســـماعيل باشـــا البغـــداديّ والخونساريّ ولعله أيضاً هـــو الـــذي تحـــدّث عنـــه هنـــري كوربان حين قال عن ابن السِّيد: إذ كان له مـــع ابـــن باجـــة عـــدة مناقشـــات حـــول مواضـــيع نحويـــة جدليـــة جمعهـــا وراجعها في كتاب له بعنوان (كتاب المسائل)[٢].

---

١) معجم المطبوعات العربية والمعربة ٥٦٩، ومجلـــة المجمـــع العلمـــي العربي السوري٥٦/١٢ ومقدمة اصلاح الخلل٣٥، والحركةاللغوية في الأندلس ٣١٨.

٢) تاريخ الفلسفة الإسلامية ٣٤٩.

٢٤. المسائل والأجوبة:

يتضمن إجابات متفرقة لابن السِّيد عن مسائل في النحو واللغة والتفسير والأدب، سئل عنها في مناسبات مختلفة، وعدّتها حوالي مائة مسألة. ونشر منها الدكتور إبراهيم السامرائي أربع مسائل ضمن كتابه (رسائل في اللغة) شغلت الصفحات ١١٣ ــ ١٥٨ونقل منه السّيوطي في (الأشباه والنظائر)[1]. ولهذا الكتاب نسخ خطّية في تونس ولايدن بهولندا والأسكوريال والمغرب.

٢٥. المطالعات:

ذكره بروكلمان ١/٧٥٨ (ملحق) وذكر أنَّ منه نسخة في مكتبة عاطف بتركيا برقم ٢٧٥٤، وأخرى في مكتبة لالي بتركيا أيضاً برقم ٣٦١٦. ولا نعرف شيئاً عن مضمونه.

ولابدّ من الإشارة هنا إلى أنَّ (اللزوميات) التي شرحها ابن السِّيد بعد أن ضمّها إلى (شرح سقط الزند)

---

١) الأشباه والنظائر ٣/٢٣٢،٧٣ ط ٢ وبحوزتي مصوّرة عن نسخة الأسكوريال، كما أن السِّيد محمد سعيد الحافظ حقّقه رسالة للدكتوراه في كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٧٧م.

عمد إليها الدكتور حامد عبد المجيد وجمعها في كتاب نشره بعنوان: (شرح المختار من لزوميات أبي العلاء).

كما ذكر السّيد سعيد عبد الكريم سعودي في مقدمته لتحقيق إصلاح الخلل لابن السِّيد كتاباً في الفلسفة اسمه (الدوائر)، ولم يذكر ذلك واحد من مترجمي ابن السِّيد أو أصحاب الفهارس. وقد اعتمد السّيد سعودي في ذلك على ما جاء في كتاب (تاريخ الفلسفة الإسلامية) لهنري كوربان من حديث عن كتاب فلسفيّ لابن السِّيد اسمه (الدوائر)؛ والواقع انَّ المقصود بهذا الكتاب هو (كتاب الحدائق)، لأن الأفكار التي يحلّلها هنري كوربان على أنَّها مضمون هذا الكتاب هي نفسها أفكار ابن السِّيد في (كتاب الحدائق)، فضلاً عن أنَّه ينص في نهاية حديثه عن الكتاب على أنَّ عنوان الفصل الأول من كتاب (الدوائر) هو: في تفسير مبدأ الفلاسفة القائل بأنَّ الترتيب الذي تتبثق الكائنات بموجبه عن السبب الأول يشبه دائرة وهميّة تكون نقطة عودتها إلى مبدأها على صورة الإنسان[1]. وهذا هو

---

١) تاريخ الفلسفة الإسلامية ٣٥٠، وإصلاح الخلل، المقدمة ٣٦، وكتاب الحدائق ٦.

عنوان الفصل الأول من (كتاب الحدائق) بعينــه، مــع تغييــر يسير في بعض ألفاظه بسبب الترجمة.

ويلاحظ هنا أيضا أنَّ ابن السِّيد يرسم فــي كتابــه دوائــر توضح قول الفلاسفة: ''إنَّ ترتيب الموجــودات عــن الســبب الأول يحكي دائرة وهميّة.. وإنَّ علم الإنســان يحكــي دائــرة وهمية وإنَّ العدد دائرة وهميّة..''؛ ولعــل ذلــك هــو الــذي جعــل بعــض المستشــرقين يتــرجم عنــوان الكتــاب إلــى (الدوائر).

ولا بُدَّ من القول هنــا: إنَّ لابــن السِّــيد رســائل أدبيــة كان يوجّهها إلــى أصــدقائه ومعارفــه مــن أدبــاء الأنــدلس وكتّابها في مناسبات مختلفة، وقد نقل ابــن خاقــان مــن هــذه الرسائل اثنتين، إحــداهما موجّهــة إلــى أبــي الحســن ابــن الأخضر، والثانية إلى الوزير أبي محمد بن سفيان[١].

كما جاء فــي مقدمــة كتــاب المســائل والأجوبــة هــذا النص: ''قال الشيخ الإمام المحقّــق رئــيس أولــي الألبــاب، والشّارح لسيبويه ذلك الكتاب، علامة الأنــدلس عبــد الله بــن محمد بن السِّيد البطليوسي...''[٢].

---

١) أزهار الرياض ٣/١٤١.

٢) رسائل في اللغة ١١٣.

فهل يُفهم من هذا أنَّ ابن السِّيد وضع شرحاً على (كتاب سيبويه) وفات مترجميه أن يذكروه أو أنَّه وَهْم وقع فيه كاتب العبارة المذكورة أو أنَّه أراد شرحاً شفهياً كان يُلقى على التلاميذ.

وأوردَ الدكتور صلاح الفرطوسيّ في مقدّمة تحقيقه لـ (المثلّث) عنوانات أخرى من مؤلفات ابن السِّيد منها كتاب في (القراءات)، وكتاب بعنوان (إثبات النبوّات)، وآخر بعنوان (الأنساب) وحواشٍ على (الكامل) نُشِرَت مع حواشٍ للرقشيّ وللأنصاريّ تلميذ ابن السِّيد.

هذه هي آثار ابن السِّيد تعكس في مضامينها جوانب ثقافيّة متعدّدة ممّا كان سائداً في ذلك العصر، فهي تتضمن فلسفةً وأدباً ولغةً ونحواً وفقهاً وحديثاً. وكان ''مجيداً في كلّ ما يصنعه'' كما يقول ابن خلّكان[1].

---

1) وفيات الأعيان ٣/١٨٢.

خامساً: منهجه في اللغة والنحو

الحديث عن منهج ابن السِّيد البطليوسي في النحو واللغة وأسلوب معالجته لمسائلهما لا بُدّ أن يعود بنا إلى الحديث عن ثقافته والعناصر التي تضافرت على تكوين ثروته الفكريّة، فالمعروف لدى الباحثين في تراجم الرجال وسيرهم أنَّ ثقافة الإنسان لابد أن تترك أثرها في طريقة تفكيره، ومنهج تناوله للمسائل الفكريّة مهما كان لونها.

وقد سبق لنا أن تناولنا هذا الجانب في شخصية ابن السِّيد عند دراستنا حياته وآثاره، واستطعنا أن نقدّم — في هذا الصّدد — صورة يسيرة بقدر ما اسعفتنا المصادر المتيسّرة لنا، معتمدين، في ذلك، على ما جاء عنه في كتب الطّبقات من أخبار وما خلّف من آثار وصلت إلينا مطبوعة أو مخطوطة.

ويمكن إجمال هذه الصورة في خطوطها العامة بقولنا: إنَّ الرجل كان نحوياً، لغوياً، أديباً، فقيهاً، متفلسفاً، يتمتّع بمَلَكَة جيّدة في نَظم الشّعر، استطاع بقدرته الممتازة على التّتبع والدّراسة والاستيعاب أن يرتقي قمّة الثقافة في عصره، وينتزع إعجاب معاصريه ومن جاؤا بعدهم، حتى

وصفه بعضهم بأنَّه كان "شيخ المعارف وإمامها"[1]؛ ووصَفَه آخر بأنَّه عالِم بالآداب واللغات مستبحر فيهما، متقدّم في معرفتهما وإتقانهما[2].

وعن كتابه الفلسفي (الحدائق) يقول باحث معاصر بأنَّه يُعَدَ أوّل محاولة للتوفيق بين الشريعة الإسلامية والفكر اليوناني[3].

فالرجل كان يزاول الاشتغال بمختلف فنون الثقافة التي كان عصره مشغولاً بها دراسةً وتدريساً، ويهمّنا هنا أن ننوّه بثقافته المتعمّقة في الفلسفة والمنطق واشتغاله بهما، إذ ترك ذلك أثراً خطيراً في طريقة تفكيره وأسلوب معالجته لمسائل النحو واللغة.

والذي يظهر لنا من دراسة سيرة ابن السِّيد البطَلْيوسي وتعرف صنّفاته وآثاره أنَّ الرجل انصرف كغيره من معاصريه إلى دراسة علمي المنطق والفلسفة، وتعمّق في ذلك حتّى صار يُقرن في الفلسفة بمعاصره الفيلسوف الشهير ابن باجة (ت٥٣٣هـ)، ووضع في الفلسفة رسالته المشهورة (الحدائق) التي لا يمكن عدّها

---

١) قلائد العقيان ١٩٣.

٢) الصلة ١/٢٩٢.

٣) تاريخ الفكر الأندلسي ٣٣١.

ـــــ كمـــا يقـــول آســـين بلاثيـــوس ــ مجـــرّد كتـــاب ســـهل الاستعمال يُعين جمهـــور غيـــر المتخصصـــين فـــي الفلســـفة على معرفة المبادئ الفلسفيّة بـــل لـــه بفضـــل طابعـــه الســـهل المبسّط أهمّية أخـــرى، وهـــي انّـــه يعـــرض علينـــا صـــورة صادقة إلى حدّ كبير للحالـــة التـــي كانـــت عليهـــا المعـــارف الفلسفيّة في أسبانيا الإسلامية في الحقبة التي ألّـــف فيهـــا. فقـــد كتب في نفس الوقت الذي كان ابن باجـــة يؤلّـــف فيـــه كتبـــه، وقبل أن يفكّر ابن طفيـــل وابـــن رشـــد فـــي شـــرح مؤلّفـــات فيلسوف اسطاغاريا (أرسطو)[1].

كما أنَّ لكتابيه (الإنصاف في التّنبيـــه علـــى الأســـباب الموجبة للخـــلاف) و(الاقتضـــاب فـــي شـــرح أدب الكتّـــاب) أهمّية فلسفيّة خاصة[2].

لـــذلك نجـــد أنَّ عقليـــة الفيلســـوف ورجـــل المنطـــق تطغى في أحيان كثيرة على الرجـــل، وهـــو يعـــرض لمســـائل النحو واللغة علـــى الـــرغم مـــن التعـــارض الواضـــح بـــين منهجي البحث اللغوي والبحث العقلي المنطقي.

---

١) تاريخ الفكر الأندلسي ٣٣٤.

٢) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ولعلّ المفارقة تكمن في أنَّ ابـن السِّـيد كـان يـدرك جيداً الحدود الفاصلة بين علم وآخـر، وبخاصـة الحـدّ الـذي يفصل بين علم النّحو وعلـم المنطـق، أو كمـا يسـمّيها هـو صناعة النّحـو وصـناعة المنطـق، فقـد روى فـي كتابـه (المسائل والأجوبة) أنَّ محاورة جرت بينـه وبـين معاصـره أبي بكر بن الصائغ النّحويّ الأندلسيّ المعـروف فـي مسـألة إعرابيّة، فجعل ابن الصـائغ ''يكثـر مـن ذكـر الموضـوع والمحمول، ويورد الألفـاظ المنطقيّـة التـي يسـتعملها أهـل البرهان'' قال: فقلـت لـه: أنـت تريـد أن تُـدخل صـناعة المنطق في صناعة النّحو، وصـناعة النّحـو تسـتعمل فيهـا مجازات ومسامحات لا يسـتعملها أهـل المنطـق، وقـد قـال أهل الفلسفة: يجب أن تحمـل كـل صـناعة علـى القـوانين المتعارفـة بـين أهلهـا، وكـانوا يـرون أنَّ إدخـال بعـض الصناعات في بعض إنّما يكون مـن جهـل المـتكلّم أو عـن قصد منه، للمغالطة واستراحة بالانتقـال مـن صـناعة إلـى أخرى إذا ضاقت عليه طرق الكلام(١).

١) المسائل والأجوبة لابن السِّيد البَطَلْيوسيّ (مخطوطة) مصوّرة عن نسخة الاسكوريال: و ١٤٣؛ وينظر أيضاً ١٠٣ أ.

ويقول في موضع آخـــر: إنَّ صـــناعة النّحـــو ليســـت من صناعة الجدل وإن كـــان بـــين الصّـــناعتين مناســـبة مـــن بعض الجهات[١]. غير أنَّ هذا الإدراك الـــدقيق للفـــارق بـــين الدّراستين اللغويّة والمنطقيّة لـــم يعصـــمه مـــن الوقـــوع فـــي هاوية الخلط بين مباحثهما والاستدلال بأدلّـــة المنطـــق لقضـــايا النّحو واللغة، كما فعل أسلافه من متقدّمي النّحويين.

فهو يواجـــه مـــذهب القـــائلين: إنَّ الأفعـــال قســـمان: ماضٍ ومستقبل، وليس بينهما فعل للحال بقولـــه: وأمـــا الـــرّد عليهم عن طريق النظر فمـــن وجـــوه كثيـــرة نقتصـــر منهـــا على أوضحها، وهو أن يقال لقائل هـــذا: هـــل أنـــت موجـــود الآن أو غير موجود؟ فإنَّه إن قال: إنَّـــه موجـــود، ولا يمكنـــه أن يقول غير ذلك، قيل له: أَ في زمـــانٍ مـــاضٍ أنـــت الآن أم في زمانٍ مستقبل؟ فإن قال: إنَّه في أحدهما؛ قيـــل لـــه: فأنـــت إذن معدوم موجود في حال واحدة، ويجـــب أن يقـــال لـــه: إذا كنت موجوداً كلّمناك في هذه المســـألة، إن لـــم تكـــن موجـــوداً لم نكلّمك؛ لأنَّك الآن معدوم، فإن قال: لســـت فـــي مـــاضٍ ولا مستقبلٍ. أثبت بينهما واسطة وتَناقض قوله[٢].

---

١) إصلاح الخلل: تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي ٨٦.

٢) إصلاح الخلل ٦٨.

وعلى الرغم ممّا في احتجاجه من وجاهة ظاهرة من الناحية النظريّة إلا أنَّه يخلط ـ كما هو واضح ـ بين وجود الزمن ووجود الشخص، مع أنَّ الأول معنى، والثاني ذات، ويعلّق وجود الثاني بوجود الأول مع أنَّه لا ارتباط بينهما في ذلك.

وفي موضع آخر يقول: فإن قال قائل: فلِمَ كان اشتراك فعل الحال مع المستقبل ـ أي في الصيغة ـ أولى من اشتراكه مع الفعل الماضي؟ قيل: إنَّما كان اشتراكه مع المستقبل أولى من الماضي؛ لأنَّه معرب مثله، وكل واحد منهما تلحقه الزوائد الأربع، ومن طريق النّظر أنَّ الفعل الماضي معدوم، وفعل الحال موجود، فهما متضادّان،والفعل المستقبل ممكن، والممكن أقرب إلى الموجود من المعدوم(١).

ولا يخفى ما في حديثه عن الممكن والموجود، والمعدوم من انسياق وراء قضية لا تربطها بقضية الصّيغ اللغويّة رابطة، لا من قريب ولا من بعيد، فضلاً عن أنَّ المسألة في صيغتها هذه لم تكن في أذهان واضعي اللغة أو المُصطلِحين عليها. بل يمكن القول ـ من منطلق الجدل

---

١) المصدر نفسه ٩٤.

الذي تمسك به ابن السِّيد ـ: إنَّ الفعل الماضي الذي تحقق فعلاً هو فعل الحال الذي يجري تحقيقه أقرب منه إلى فعل المستقبل الذي لا يزال مجرد احتمال قد يقع أو لا يقع، فكان المناسب ـ من الزّاوية النظريّة الصّرف ـ أن تتحد صيغتا الماضي والحال، وتختلف صيغة المستقبل الذي لا يزال مجهولاً.

وفي باب الابتداء ينساق ابن السِّيد مع متقدّمي النّحاة في الجدل حول مرتبة الفاعل، ومرتبة المبتدأ، وأيّهما يسبق صاحبه في ذلك فيقول، بعد أن يستعرض آراء سابقيه: والأشبه عندي أن تكون مرتبة المبتدأ قبل مرتبة الفاعل على ما رتبه أبو بكر بن السراج في (الأصول) والفارسي في (الإيضاح). ويقوّي ذلك أنَّ حكم المبتدأ أن يُؤتى به أوّلاً لثانٍ، وحكم الفاعل أن يُؤتى به ثانياً لأوّل، أعني أنَّ حكم المبتدأ أن يقدم قبل الحديث عنه، فيكون حديثه تابعاً له في الاخبار، وأنَّ حكم الفاعل أن يقدم الحديث عنه قبله، فيصير تابعاً قبل أن يعرض للمبتدأ المجاز والأشخاص مقدّمة في الرّتبة قبل حركاتها الموجودة منها، وقبل تأثيراتها في غيرها[١].

---

١) إصلاح الخلل ١٤٧.

والواضح أنَّ الحديث عن مسألة المرتبة والربط بين ذلك وبين موقع الكلمة في الجملة يحمل في طيّاته تغافلاً عن العلاقة الحقيقية بين جزئي الجملة الأساسيين؛ أعني المسند والمسند إليه، فالواضح أنَّ علاقة الإسناد سواء كانت في صورة جملة اسمية كما هي الحال في جملة المبتدأ والخبر أو فعلية كما هي الحال في جملة الفعل الفاعل هي التي تقرّر ما إذا كان التركيب وافياً بالمعنى الذي يريده المتكلّم أم لا، وحين يوفّق التّركيب في ذلك يُصبح الحديث عن مرتبة الفاعل أو المبتدأ، وكلاهما مسند إليه كما نعلم، ضرباً من التخيّل والجدل، إذ إنَّ تقدّم المبتدأ في الجملة لا يمنحه تفوقاً على الفاعل الذي يأتي عادة بعد فعله، لأنَّ المبتدأ قد يكون متأخّراً عن الخبر في مواضع عدة كما نعلم، وإنَّ تأخره هذا واجب لا خيار فيه، ولأنَّ ذلك لو صحّ لكانت مرتبة الفعل إذن قبل مرتبة فاعله وهو ما لا يقول به أحد من النّحاة،فضلاً عن أنَّ الأسلوبين أسلوب الجملة الفعلية وأسلوب الجملة الاسمية تعتمدهما اللغة العربية لبيان ما إذا كان الاهتمام منصبّاً على الحدث الذي يُراد الإخبار عنه أو على الذات التي يُراد الإخبار عنها، فيكون الحديث إذن عن مرتبة الفاعل ومرتبة المبتدأ، وأيهما أسبق من صاحبه ضرباً من العدوى التي

يجرّها جدل المتكلّمين وأصحاب المنطق.

وقد سبقتِ الإشارةُ إلى تعمّق ابن السِّيد في دراسة الفلسفة، وعلم الكلام، وإيغاله في ذلك حتّى وضع رسالته الفلسفية المشهورة (الحدائق) التي جعلت بعض الباحثين يحشره في زمرة الفلاسفة.

ولا شك أنّ دراسته للفلسفة تركت أثراً عميقاً في تفكيره النّحوي جعلته يستعين بتعريفات الفلاسفة، وأهل المنطق للاسم والفعل والحرف، فيسوقها مع ما يسوق من تعريفات النّحاة المتقدّمين، فيُورد تعريف الكنديّ وابن المقفّع وأبي نصر الفارابيّ بعد أن أورد تعريفات الزجّاجيّ والمبرّد والأخفش الأوسط وابن السّرّاج والزجّاج والسّيرافيّ والكسائيّ والفرّاء وهشام الضّرير والرّياشيّ والطوّال ومعاذ الهرّاء والفارسيّ[1].

ولكنَّ الانسياق وراء احتجاجات المناطقة وأساليب معالجتهم للمسائل الذهنية المجرّدة لم يشتط به بعيداً عن طريق أهل اللغة ومنهجهم في الاستدلال للمسائل اللغويّة التي كانت مداراً للجدل بينهم، بل نراه يعود إلى حظيرتهم، ويتخلى عن أسلحته الذهنية المجرّدة ليستخدم المنهج

---

١) إصلاح الخلل ٥٨ـ٦٦.

اللغويّ الذي يستعين بالاستقراء لإثبات صحّة دعواه أو إبطال دعاوى خصومه أو مجادليه.

فقد سئل ابن السِّيد عن المراد بـ (الأخضر) في قول الفضل بن العباس بن عتبة:

وأنا الأخضر من يعرفني أخضر الجلدة في بيت العرب

فأجاب بأنَّ المراد به سمرة اللون وسواده، لأنَّ العرب تصف نفوسها بالسّواد، وتصف العجم بالحمرة، فيقولون: ما يخفى ذلك على الأحمر والأسود، يريدون: العربي والعجمي.

ثم بلغه أنَّ بعضهم اعترض على تفسيره، وذهب إلى أنَّ المراد بالخضرة ها هنا الكرم والسؤدد.

فقال ابن السِّيد: إنَّ العرب قد تصف الرّجل بالخضرة، يريدون الكرم كأنَّهم يشبّهونه بالبحر أو بالرّبيع المخصب، ولكن بيت الفضل لايحتمل إلا خضرة اللون خاصة، واستدل على صحّة دعواه بما ذهب إليه المبرّد وابن دريد وأبو عليّ القاليّ وابن قتيبة في شرح البيت على نحو ما ذهب إليه، واستدلّ بأنَّ قول الشاعر (أخضر الجلدة) يبطل ما قاله المعترض إبطالاً ظاهراً.

ولما بلغه أنَّ المعترض يقول إنَّه لا يوجد في اللغة

أنَّ الجلدة بمعنى الجلـــد، وأنَّ الجلـــدة إنَّمـــا تســـتعمل بمعنـــى القطعة من الجلد قال: إنَّ الجلدة تكـــون بمعنـــى القطعـــة مـــن الجلد، وتكون بمعنى الجلد كلّه؛ واحـــتجّ بقـــول أهـــل اللغـــة: الفروة جلد الرأس، السّـــمحاق جلـــدة أو قشـــرة رقيقـــة بـــين اللحم والعظم، والظفر جلدة تغشى العـــين. وقـــول أبـــي زيـــد: البشرة ظاهر الجلدة، وقول ابـــن قتيبـــة فـــي (أدب الكتّـــاب): والجلدة المعلّقـــة هـــي الإقبالـــة والإدبـــارة،وحكى ذلـــك عـــن الأصمعيّ، ثم نقل أشعاراً لشعراء عدة، مـــنهم امـــرؤ القـــيس، ولبيد، وابن المعتز، وأبو تمّـــام، ثـــم أورد أشـــعاراً لمســـكين الدّارميّ وجرير، وغيـــرهم؛ تؤيـــد تفســـيره للخضـــرة بأنَّهـــا السّمرة، وختم دفاعه عن دعواه بقولـــه: هـــذا مـــا حضـــرني من القول في هذه المسألة، فإن كـــان يمكـــن هـــذا المعتـــرض أن يصحّح قوله ويسنده إلى إمام ذكـــره ويوجـــدنا مـــا ادعـــاه على اللغة ما لا نعلمه فيهـــا؛ فليفعـــل، وإن أنكـــر شـــيئاً ممّـــا ذكرته، فالكتب حاضرة تُحمل إلـــى المجلـــس الرفيـــع، ليقـــف عليها إن شاء الله(١).

بهذا الأسلوب الذي يعتمـــد النقـــل والروايـــة المبنيـــة على استقراء النصوص الفصيحة شـــعراً ونثـــراً يثبـــت ابـــن

---

١) المسائل والأجوبة؛ ورقة ٥٨ ظ.

السِّيد صحة دعــواه، ويــدفع مـــا ذهـــب إليـــه خصـــمه مـــن تفسيرات وتوجيهات.

وقد تكون طبيعة هذه المســـألة اللغويـــة التـــي تعتمـــد أساساً في الاستدلال لهـــا علـــى المـــرويّ عـــن أهـــل اللغـــة وناطقيها هي التي ألجأت ابن السِّيد إلـــى هـــذا الأســـلوب فـــي الاحتجاج، لكنّ ذلك أيضاً يعني أنَّ ابن السِّـــيد اهتـــدى بحسّـــه اللغويّ وثقافته اللغويّـــة الواســـعة إلـــى المـــنهج السّـــليم فـــي احتجاجه لإثبات دعواه وإبطال دعوى الخصم.

وفي مسألة أخـــرى ســـئل ابـــن السِّـــيد عـــن دعـــوى النحويين أنَّ (رُبَّ) تفيد التقليل مع أنَّ كثيـــراً مـــن النصـــوص الفصيحة في الشّعر والنّثر تفيد أنَّها تجـــيء للتكثيـــر. فأجـــاب بأنَّ الأصل في (رُبَّ) أنَّها تجيء للتقليـــل، وهـــذا رأي الخليـــل وسيبويه وعيسى بن عمر ويـــونس وأبـــي زيـــد الأنصـــاري وأبـــي عمـــرو بـــن العـــلاء والأخفـــش الأوســـط والمـــازنيّ والجرمـــيّ والمبـــرّد وابـــن السّـــرّاج والزجّـــاج والفارســـيّ والرّمانيّ والسّـيرافيّ وابـــن جنـــيّ، وكـــذلك رأي الكســـائيّ والفرّاء والهرّاء وابن سعدان وهشام. ولم يخـــالفهم فـــي ذلـــك غير صاحب (كتاب العين) على حـــد تعبيـــره، وذكـــر أيضـــاً أنَّ الفارابيّ ذكر في (الحروف) أنَّها تـــأتي للتقليـــل وللتكثيـــر؛ وبعد استطراد في عرض جوانب الخلاف فـــي هـــذه القضـــية

قرّر ابن السِّيد أنَّ الأصل في (رُبَّ) أنَّها وُضِعت للتقليل كما أنَّ الأصل في (كم) أنَّها وُضِعت للتكثير، ثم يعرض لـ (رُبَّ) المجاز لغرض المبالغة، فتقع موقع (كم) للتكثير مع حفظها لأصل وضعها.

وأخذ يستعرض النصوص النثريّة والشعريّة التي جاءت فيها (رُبَّ) تؤدّي معنى التقليل من مثل قولهم: (رُبَّهُ رَجُلاً). وقولهم: (رُبَّما خان الأمين ورُبَّما سفه الحليم). وأورد شواهد شعريّة لشعراء كثيرين مثل سالم بن وابصة وأعشى همدان وحاتم الطائيّ وخوات بن جبير، وزهير بن أبي سلمى، وصخر بن الشّريد وعديّ بن زيد وابن مخلاة الحمار وغيرهم كثير من القدماء والمحدثين؛ مثل ذي الرّمة والمتنبيّ والأغلب العجليّ.

ثم عرض للمواضع التي تقع فيها (رُبَّ) موقع التكثير على سبيل المجاز، فجاء بطائفة أخرى من الشواهد لامرئ القيس، وأبي عطاء السّندي وربيعة بن مقروم الضبّيّ وبعض شعراء الحماسة،وفّسر ذلك بأنَّ العرب قد يعمدون إلى استخدامها بمعنى التكثير لأغراض يقصدونها، منها أنَّ المفتخر يزعم أنَّ الشيء الذي يكثر وجوده منه، يقل وجوده من غيره، وذلك أبلغ في الامتداح والفخر من أن يكثر من غيره ككثرته منه، فاستعيرت لفظة التقليل في

موضع التكثير إشعاراً بهذا المعنـــى، كمـــا اســتعيرت ألفـــاظ الذمّ في موضع المدح؛ فقيـــل: ''أخـــزاه الله مـــا أفصـــحه'' و ''لعنه الله ما أشعره''، إشعاراً بأنَّ الممدوح قـــد حصـــل فـــي مرتبة من يشتم حسداً له على فضله، لأنَّ الفاضـــل هـــو الـــذي يحسد ويوقع في عرضـــه، والنـــاقص لا يلتفـــت إليـــه، وقـــد صرّح الشاعر بهذا في قوله:

ولا خلوت الدهر من حاسد فإنّما الفاضل من يُحسَدُ

وكذلك قال بعض العرب: السَّيِّد مـــن إذا أقبـــل هبنـــاه، وإذا أدبر عبناه، وكذلك تســـتعار ألفـــاظ المـــدح فـــي موضـــع الذم، فيكون ذلك أشدّ على المذموم من لفـــظ الـــذّم بعينـــه؛ لأنَّ في ذلك مع الذم نوعاً من الهزء كقولهم للأحمـــق: يـــا عاقـــل، وللجاهل: يا عالم. قال: فكـــذلك إذا اســـتعيرت لفظـــة التقليـــل مكان التكثير كان أبلـــغ فـــي المـــدح والفخـــر؛ لأنَّـــه يصـــير بالمعنى أنَّ الشيء الذي يكثر منه يقـــل مـــن غيـــره، فيكـــون أبلغ من لفظ التكثير المحض لو وقع هـــا هنـــا، قـــال: ويـــدل على أن هذا غرضهم في ذكر (رُبَّ) في هـــذا الموضـــع أنَّهـــم قد صرّحوا به في مواضع كثيرة من أشـــعارهم، كقـــول ســـالم بن وابصة:

وموقف مثل حدّ السيف قمت به أحمي الذمار وترميني به الحدق
فما زلقت ومـــا أبليـــت فاحشة إذا الرجـــال على أمثالها زلقوا

الا ترى أنَّه يفتخر بأنَّ هذا الموقف يكثر منه مع قلة وجوده من غيره، ومثله قول الآخر:

يا رُبَّ ليلة هول قد سريت بها   إذا تضجع عنها العاجز الوكل

ثم استشهد برجز للعجاج أعقبه بدليل لغويّ قياسيّ؛ فقال: ونظير هذا في أنَّ له نسبتين مختلفتين: نسبة كثرة إلى المفتخر، ونسبة قلة إلى من يعجز عنه فيأتي تارة على نسبة الكثرة بلفظ (كم)؛ وتارة على نسبة القلة بلفظ (رُبَّ) انهم إذا سمّوا رجلاً بالعباس والحارث والحسن ونحو ذلك من الصفات، فربَّما أقرّوا فيها الألف واللام مراعاةً لمذهب الصفة التي انتقلت عنها، وربَّما حذَفوا الألف واللام مراعاة لمذهب العلم الذي صارت إليه، فيكون لها نسبتان مختلفتان تأتي بإحداهما تارة وبالأخرى تارة.

ثم قال بعد استطراد في الاحتجاج والتأويل: فعلى نحو هذه التأويلات تأوّل النحويون الذين أصلوا أنَّ (رُبَّ) للتقليل. هذه الأشياء التي ظاهرها التّكثير، ومن قال: إنَّها في هذه المواضع للتّكثير تلقّى الكلام على ظاهره، ولم

يدقّق الكلام هذا التّدقيق، ولم يقسّمها إلى الحقيقة والمجاز كما فعلنا نحن[١].

ولعل أبرز مظاهر التعلق بالرّواية الموثوقة عند ابن السِّيد تخلّيه عن الموقف البصريّ حينما تأتي هذه الرّواية لتنقض هذا الموقف، وهو لا يتردّد عن أن يُعلن صراحةً تبنّيه لموقف مغاير لموقف جمهور البصريين كما فعل حين عرض لقضية (التضمين) في الحروف واستعمال بعضها بدل بعض، الأمر الذي ينكره جمهور البصريين، فقد أورد ابن السِّيد طائفة من الشواهد الشعرية في هذا الباب، وعقَّب قائلاً: ولا يمكن المنكرين لهذا أن يقولوا إنَّ هذا من ضرورة الشّعر، لأنَّ هذا النّوع قد كثر وشاع، ولم يخصّ الشّعر دون الكلام[٢].

ولا رَيبَ أنَّ غزارة مرويات ابن السِّيد من الكلام العربيّ الفصيح وسعة الذخيرة التي يمتلكها من آراء اللغويين والنّحويين المتقدّمين جعلَه يُؤثر التّوسّع في إباحة ما منعه المتزمّتون من أصحاب التّشدّد في القياس اللغويّ من أمثال الأصمعيّ ''فيُنحي بشدة اللائمة على ابن قتيبة؛

---

١) المسائل والأجوبة: و ٤٥ – ٥٢.

٢) الاقتضاب ٢٤٠.

لأنَّه احتضن مذهبَ الأصـــمعيّ المتطـــرّف فـــي تنقيّـــة اللغـــة دون أن يعنى بمذاهب الثقـــات الآخـــرين مـــن علمـــاء اللغـــة، ولو على سبيل العرض فحسب''[1].

ففي الجزء الثـــاني مـــن (الاقتضـــاب) الـــذي أفـــرده لمناقشة ابن قتيبة والاعتـــراض عليـــه خصّـــص جـــزءاً منـــه لمناقشته في أشياء جعلها من لحن العامّـــة؛ وعـــوّل فـــي ذلـــك على ما رواه أبـــو حـــاتم عـــن الأصـــمعيّ، وأجازهـــا غيـــر الأصـــمعيّ مـــن اللغـــويين كـــابن الأعرابـــيّ وأبـــي عمـــرو الشّيبانيّ ويونس وأبي زيـــد وغيـــرهم، وكـــان ينبغـــي لابـــن قتيبة أن يقول: إنَّ مـــا ذكـــره هـــو المختـــار أو الأفصـــح، أو يقول: هذا قول فلان، وأن لا يجحد شـــيئاً، وهـــو جـــائز مـــن أجل إنكار بعـــض اللغـــويين لـــه، فيقـــول: ذلـــك رأي غيـــر صحيح، ومذهب ليس بسديد[2].

لقد ذهب ابن قتيبة ــ على ســبيل المثـــال ــ إلـــى أنَّ الحشـــمة يضـــعها النـــاس موضـــع الاســـتحياء وهـــي عنـــد الأصمعيّ ليس كذلك، وإنَّما هي بمعنـــى الغضـــب. قـــال ابـــن السِّيد: هذا قول الأصمعيّ كما ذكـــر عنـــه، وهـــو المشـــهور،

---

١) العربية؛ يوهان فك ٩١.

٢) الاقتضاب ١٠٦.

وقد ذكر غيره أنَّ الحشـــمة تكـــون بمعنـــى الاســـتحياء وروي عن ابن عباس أنَّه قال: لكلّ داخــل دهشـــة فأبـــدأوه بالتحيّـــة، ولكلّ طاعم حشـــمة، فابـــدأوه بـــاليمين، وقـــال المغيـــرة بـــن شعبة: العيشُ فـــي إبقـــاء الحشـــمة، وقـــال صـــاحب **(**كتـــاب العين**)**: الحشمة: الانقباض عن أخيـــك فـــي المطعـــم، وطلـــب حاجة. تقول: احتشمت عنّي، وما الـــذي حشـــمك وأحشـــمك.

وقد روي في شعر عنترة:

وأرى مطاعم لو أشاء حويتها   فيصدّني عنها كثير تحشّمي

وقال كثيّر:

إنِّـــي متى لم يكن عطاؤهما   عندي بما قـــد فعلت احتشم

وقال الطِّرمّاح:

ورأيت الشّريف في أعين الناس   وضيعاً؛ وقلّ منه: احتشامي

ثم قال: وكان الأصمعيّ لا يرى الطِّرمّاح حجّة[1].

وقال في موضع آخـــر: وكـــان ــ أي الأصـــمعي ــ مولعـــاً بالطعن على ذي الرمة[2].

وفي مسألة أخرى نقل قول ابـــن قتيبـــة: إنَّ العـــرض ذات الانسان ونفسه، كان ينبغي له ألا ينكر قـــول مـــن قـــال:

---

١) الاقتضاب ١٠٨؛ وكتاب العين: ٣/٩٩.

٢) المصدر نفسه ١٥٩.

إنَّه آباؤه وأسلافه؛ لأنَّ كلّ واحد من القولين صحيح، له حجج وأدلّة، وسرد طائفة من الشّواهد من الحديث والشّعر[1].

ونقل أيضاً قوله: يقولون: (بكى الصبيّ حتّى فحَم) بفتح الحاء، أي انقطع صوته من البكاء. قال ابن السِّيد: قد حكى أبو عبيدة وغيره (فحِم) بكسر الحاء وهما لغتان[2].

ونقل قوله: الشّجر ما كان على ساق؛ والنّجم ما لم يكن على ساق. قال: قد يسمّى ما لا يقوم على ساق شجراً، قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ**﴾[3] [4].

ولا يمتنع ابن السِّيد من مواجهة جمهور اللغويين ومعهم ابن قتيبة حين يضيّقون دائرة الأفق اللغويّ، وينكرون استعمالات يؤيّدها السّماع والقياس، ونطقت بها ألسنة الفصحاء من العرب.

فقد نقل ابن قتيبة أنَّ (ياء الشجي) مخففة في قولهم: (ويل للشجي من الخلي)، قال ابن السِّيد: قد أكثر

---

١) المصدر نفسه ١١١.

٢) الاقتضاب ١١٩.

٣) سورة الصّافات ١٤٦.

٤) الاقتضاب ١٢٩.

اللغويون من إنكار التّشديد في هـذه اللفظـة، وذلـك عجـب منهم، لأنَّه لا خلاف بينهم أنّه يقال: شـجوت الرّجـل أشـجوه إذا أحزنته، وشجيَ يشجَى شجياً إذا حزن، فـإذا قيـل: شـج، بالتخفيف كان اسم الفاعـل مـن شـجيَ يشـجَى فهـو شـج، كقولك: عمي يعمَى فهـو عـم. وإذا قيـل شـجيّ، بالتشـديد، كان اسم المفعول من شجوته أشجوه، فهـو مشـجوّ وشـجيّ؛ كقولك: مقتول وقتيل ومجـروح وجـريح[١]. وأكمـل دفاعـه عن مذهبه في هذه المسألة بما روي عن ابن قتيبـة أنَّـه قـال لأبي تمّام: يا أبا تمام أخطأت في قولك:

ألا ويلَ الشجيّ من الخليّ ... وبالي الربع من إحدى بَلِيّ

فقال له أبو تمّام: ولم قلت ذلك؟

قال: لأنَّ يعقوب قـال: شـج، بـالتخفيف، ولا يشـدّد، فقال له أبو تمّام: من أفصح عنـدك ابـن الجرمقانيـة يعقـوب أم أبو الأسود الدؤلي حيث يقول:

ويل الشجيّ من الخليّ فإنَّه ... نَصِبُ الفؤاد لشجوه مغموم

قال ابن السِّيد: والذي قاله أبـو تمّـام صـحيح، وقـد طابق فيه السّـماع القيـاس، وقـد قـال أبـو دؤاد الإيـادي، وناهيك به حجة:

---

١) المصدر نفسه ١٩٧.

مَن لِعينٍ بدمعهــا مَوليّه؟   ولنفسٍ مما عنــاهــا شَجيّه

وقد يحقق ابن السِّيد فـي المسـألة اللغويّـة ليصـحّح فيها مذهباً يظهر أنَّ هناك ما ينقضه، قال فـي بـاب النبـات: قال ابن قتيبة: الخلي هو الرطـب، والحشـيش هـو اليـابس، ولا يقال له رطباً حشيش. قال ابن السِّـيد: هـذا الـذي ذكـره قول الأصمعي، وكان يقول مـن قـال للرطـب مـن النبـات حشيش فقد أخطأ، وحكى أبو حاتم قـال: سـألت أبـا عبيـدة معمراً عن الحشيش، فقال: يكون رطبـاً ويابسـاً، وقـال أبـو عبيد في (الغريب المصنّف) في بـاب نعـوت الأشـجار فـي ورقهـا والتفافهـا: وأمـا الـوراق فخضـرة الأرض مـن الحشيش. وقال أيضاً فـي بـاب ضـروب النبـات المختلفـة: الخلي: الرطب من الحشيش، فإذا يبس فهو حشيش.

قال ابن السِّيد: والقول فيـه عنـدي قـول الأصـمعيّ، لأنّه قال: حشّ الشيء يحـشّ، إذا يـبس، ويقـال للجنـين إذا يبس في بطن أمّه حشيش، ويقـال: حشـت يـده إذا يبسـت، فالاشتقاق يوجـب أن يكـون اليـابس دون الرطـب، ولـذلك اختاره ابن قتيبة على قول أبي عبيدة(١).

---

١) الاقتضاب ١٢٨.

وفي مسألة أخرى قال ابن قتيبة: يقال للفرس: عتيق وجواد وكريم، ويقال للبرذون والبغل والحمار: فاره، قال الأصمعيّ: كان عديّ بن زيد يخطئ في قوله في وصف الفرس:

فارهاً متتابعا

قال: ولم يكن له علم بالخيل.

قال ابن السِّيد: ما أخطأ عدي بن زيد، بل الأصمعيّ هو المخطئ، لأنَّ العرب تجعل كلّ شيء حسن فارهاً، وليس ذلك مخصوصاً بالبرذون والبغل والحمار كما زعم، وعلى هذا قالوا: فرهت النّاقة إذا نجُبَت فهي مُفرهة، قال أبو ذؤيب:

ومفرهة عنس قدرت لساقها   فخرّت كما تتّابع الريح بالقفل

وقال النّابغة:

أعطى لفارهة حلو توابعها   من المواهب لا تُعطى على حسّد

ولو كان ما قاله الأصمعيّ صحيحاً لمّا كان قول عديّ خطأ، لأنَّ العرب تقول: فرِهَ فرَهاً فهو فاره وفَرِه إذا أشِرَ وبَطِر، وكذلك إذا كان ماهراً حاذقاً، وعلى هذا قرأ

القرّاء: فارهين وفرهين[1]. فممكن أن يكون قــول عــديّ مــن هذا، وكان الأصــمعيّ عفــا الله عنــه يتســرّع إلــى تخطئــة النّاس، وينكر أشياء كلّها صحيح[2].

وقد تتجاوز تحقيقاته المسائل اللغويّــة الصّــرفة إلــى المسائل الجغرافية وأسماء الأمــاكن والمواضــع، فقــد عقّــب على قول ابن قتيبة: ويقولون: (بســتان ابــن عــامر)، وإنّمــا هو (بستان ابن معمر)، فقال: بستان ابن معمــر غيــر بســتان ابن عامر؛ وليس أحدهما الآخر، فأما بستان ابــن معمــر فهــو الذي يعرف ببطن نخلة، وابن معمــر هــذا هــو عــامر بــن عبيد الله بن معمر التّيمــيّ، وأمــا بســتان ابــن عــامر فهــو موضع آخر قريب من الجحفة[3].

وربما كان من متمّمات هذه النّزعــة التّحقيقيــة عنــد ابن السِّيد تحاشيه لما يقع فيه بعضهم من طعــن علــى علمــاء اللغة والنّحو أو انتقاص منهم، وهــم الــذين أجمــع الجمهــور

---

١) من قوله تعالى في سورة الشعراء ١٤٩ ﴿**وَتَنْحِتُونَ مِنْ الْجِبَــالِ بُيُوتًــا فَارِهِينَ**﴾. والثانية قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع كما في الجــامع لأحكام القرآن ١٣/١٢٩.

٢) الاقتضاب ١٤٠؛ وديوان عديّ بن زيد ١٤١، وتمام البيت:

وصافَ يفرّي جلّه عن سراته ... يبذّ الجيادَ فارهاً مُتتابِعا

٣) الاقتضاب ٢٢٦.

على الوثوق بهم والأخذ عنهم أو قبــول مـــا يــروى عــنهم ، فقد عقّب على مـــا رواه ابــن قتيبـــة مــن قــول عَبيــد بــن الأبرص:

هي الخمر تدعى الطلاء كما الذئب يدعى أبا جعدة

فقال: هذا البيت غير صحيح الــوزن، وذكــر أنَّ أبــا عبيدة معمر بن المثنى هو الـــذي رواه وهكـــذا، قـــالوا وكـــان لا يقيم وزن كثير من الشعر. وقال قــوم: إنَّمـــا وقـــع الفســـاد من قبل عَبيد، لأنَّ في شـــعره أشـــياء كثيـــرة خارجـــة عـــن العروض مشهورة تغنـــي شـــهرتها عـــن ايرادهـــا فـــي هـــذا الموضع وهذا هو الصّحيح عندي، فأمّا ما ذكـــروه عـــن أبـــي عبيدة من أنَّه كان لا يُقيم وزن كثير من الشـــعر، فمـــا أظنّـــه صحيحاً، ولم يكن ليروي إلا مـــا ســـمع. وروى الخليـــل هـــذا البيت:

وقالوا هي الخمر تدعى الطِلا كما الذئب يدعى أبا جعدة

وهذا صحيح على مـــا توجبـــه العـــروض، وذكـــر أنَّ الخليل هو الذي أصلحه، وهذا يدل على أنَّ الفســـاد إنَّمـــا وقـــع في وزنه من قبل عبيد، ولو كانـــت فيـــه روايـــة ثانيـــة غبـــر رواية أبي عبيدة لم يحتج الخليل إلى إصلاحه(١).

---

١) الاقتضاب ١٤٨.

ولعلّ من أطرف الملاحظات التي هداه إليها عقله النفّاذ ونظرته المستوعبة للنّصوص اللغويّة ما ورد في مناقشته النّظرية المعروفة القائمة على الرّبط بين الجانب الصوتيّ للكلمة ودلالتها، قال: قد قيل: إنَّ الخضم أكل الرطب، وإنَّ القضم أكل اليابس، وذكر ابن جني (رحمه الله) أنَّ العرب اختصّت اليابس بالقاف، والرّطب بالخاء؛ لأنَّ في القاف شدة، وفي الخاء رخاوة، وذكر أشياء من هذا النّحو ممّا حاكت فيه العرب المعاني بالألفاظ[1]. ولعمري أنَّ العرب ربّما حاكت المعنى باللفظ الذي هو عبارة عنه في بعض المواضع، ويوجد ذلك تارة في صيغة الكلمة وتارة في إعرابها، فأمّا في الصّيغة فقولهم للعظيم اللحية: لحياني؛ وكان القياس أن يقول: لحيي؛ وللعظيم الرقبة: رقباني؛ والقياس: رقبي، وللعظيم الجُمَّة: الجُمَّاني؛ والقياس: جُمّي؛ فزادوا في الألفاظ على ما كان ينبغي أن تكون عليه كما زادت المعاني الواقعة على نظائرها، وكما يقولون: صرّ الجندب، إذا صوّت صوتاً لا تكرير فيه، فإذا كرّر الصوت قالوا: صرصر. وأما محاكاتهم المعاني بإعراب الكلمة دون صيغتها فإنّا

---

١) الخصائص ٢/١٥٢، ١٥٧.

وجدناهم يقولون: (صعد زيدٌ الجبل) و(ضـــرب زيـــد بكـــراً)، فيرفعون اللفظ كما ارتفع المعنى الواقـــع تحتـــه، ولكـــن هـــذا قياس غير مطّرد، ألا تراهم قالوا: أســـد وعنكبـــوت، فجعلـــوا اللفظـــين مخـــالفين للمعنيـــين. وقـــالوا: (زيـــد مضـــروب)، فرفعوه لفظاً، وهو منصوب معنًـــى، وقـــالوا: (مـــات زيـــدٌ)، و(أمات الله زيداً)، وأحدهما فاعـــل علـــى الحقيقـــة، والآخـــر فاعل على المجاز، فإذا كان الأمر علـــى هـــذا الســـبيل كـــان التشاغل بما تشاغل به ابن جني عناء لا فائـــدة فيـــه[1]. وهـــو في نقاشه هـــذا يـــأتي بملاحظـــة علـــى جانـــب عظـــيم مـــن الوجاهة وتنمّ عن فطنة وحذق؛ وإن كانـــت لا تشـــكل ظـــاهرة لا يمكن تعميمها في اللغة، وقد أقرّ بـــذلك بقولـــه: إنَّ العـــرب ربَّما كانت...الخ، فجاء بلفظ التّقليل، كما انَّه تنبّـــه إلـــى عـــدم اطراد هذه الظاهرة في اللغـــة وأنَّ التّشـــاغل بهـــا لا جـــدوى منه.

ويفاجأ قارئ ابن السِّيد فـــي بعـــض المواضـــع بـــآراء له تبدو كأنَّها تصدر عن إنسان معاصـــر لنـــا يـــدرك مشـــاكل

---

١) الاقتضاب ١٥٨، ولا بُدّ من التّنويه هنا بأن بعض النتائج التي توصّلت إليها توصّل إليها السّيد خالد محسن ناجي في رسالته عن (ابن السِّـــيد اللغويّ) المقدّمة إلى جامعة بغداد ١٩٧٥م مـــن دون أن يطّلـــع علـــى جهودي على الرغم من إشارته إلى هذه الدراسة في رسالته المذكورة.

اللغة، وبخاصة ما يتعلق منهــا بقضــية الرّســم. فهــو مــثلاً يعرض لآراء النّحويين في كتابــة (إذن) فينقــل رأي المبــرّد بكتابتها بالنون على كلّ حــال، ورأي المــازنيّ الــدّاعي إلــى كتابتها بــالألف دائمــاً، ورأي الفــرّاء الــذي يــرى كتابتهــا بالنون إذا كانت عاملة، وبــالألف إذا كانــت ملغــاة، فيختــار رأي المبرّد معلّلاً اختيــاره بــأنّ نــون (إذن) ليســت بمنزلــة التنوين ولا بمنزلة (نون) التوكيد الخفيفــة فتجــري مجراهمــا في قلبها ألفاً، إنّما هي أصل مــن نفــس الكلمــة، ولأنّهــا إذا كتبت بالألف أشبهت (إذا) التــي هــي ظــرف، فوقــع اللــبس بينهما؛ قال: ونحن نجد الكتّاب قد زادوا في كلمــات مــا لــيس فيها، وحذفوا من بعضها ما هو منها للفــرق بينهــا وبــين مــا يلبس بها في الخــط، فكيــف يجــوز أن تكتــب (إذاً) بــالألف وذلك مؤدّ إلــى الالتبــاس بـــ (إذا)، وقــد اضــطربت آراء الكتّاب والنّحويين في الهجــاء، ولــم يلتزمــوا فيــه القيــاس، فزادوا في مواضع حروفاً خشية اللــبس؛ نحــو (واو) عمــرو، و(ألف) مائة، وحذفوا في مواضع ما هــو فــي نفــس الكلمــة نحو: خالد ومالك، فأوقعوا اللــبس بمــا فعلــوه؛ لأنّ (الألــف) إذا حذفت من خالد صار خلدا، وإذا حذفت مــن مالــك صــار ملكا، وجعلوا كثيــراً مــن الحــروف علــى صــورة واحــدة كالدّال والذّال والجيم والحاء والخــاء، وعوّلــوا علــى الــنقط

في الفرق بينهما، فكان ذلــك ســبباً للتصــحيف الواقــع فــي الكلام، ولو جعلــوا لكــلّ حــرف صــورة لا تشــبه صــورة صاحبه كما فعل سائر الأمم لكــان أوضــح للمعــاني، وأقــلّ للالتبــاس والتّصــحيف، ولــذلك صــار التّصــحيف للّســان العربيّ أكثر منه في سائر الألسنة[1].

---

1) الاقتضاب ١٦٦.

سادساً: آراؤه النحوية

لا يتردّد دارس ابن السِّيد طويلاً قبل أن يضعه في صف النحويين، فهو في منهجه وآرائه ومذهبه النّحوي متابع للبصريين وبخاصة إمامهم سيبويه شأنه في ذلك شأن عامة متأخري النحويين وبخاصة الأندلسيين منهم. فاختياراته في المسائل الخلافية بشكل عام هي اختيارات البصريين. فهو يختار رأي سيبويه في أنَّ العامل في المفعول هو نفس العامل في الفاعل، مخالفاً بذلك رأي الفرّاء الذي يرى أنَّ العامل فيه مجموع الفعل والفاعل وهشاماً الضرير الذي يرى أنَّ الناصب له الفاعل نفسه، وخلفاً الأحمر الذي يرى أنَّ الناصب له المعنى[1].

وهو يوافق البصريين في أنَّ الرافع للمبتدأ هو الابتداء، أي أنَّ رافعه عامل معنوي، وعبَّر عن ذلك بقوله: الرافع له عناية المتكلم واهتمامه وأنَّه جاء به ليسند إليه ما بعده، مخالفاً بذلك مذهب الكوفيين الذي يرى أنَّ المبتدأ والخبر يترافعان، واستطرد في إيراد جملة من الحجج في ردّ مذهبهم[2].

---

1) المسائل والأجوبة ١٠٢، والإنصاف؛ المسألة ١١؛ ولعلّ الأحمر هنا علي بن المبارك الأحمر الكوفيّ لا خلف الأحمر البصريّ.

2) إصلاح الخلل ١٤٧، والإنصاف؛ المسألة ٥.

ومنع تبعاً للبصريين أن يفصل بين (كان) واسمها بمعمول خبرها نحو: (كانَ طعامَكَ زيدٌ آكِلاً) الأمر الذي أجازه الكوفيون وجماعة من البصريين[1].

ومنع أيضاً تبعا للبصريين اقتران خبر (لكنَّ) بـ (لام) الأمر الذي أجازه الكوفيون، وأورد حجج الكوفيين ثم نقضها باحتجاجات البصريين من السماع والقياس[2].

وهو يوافق سيبويه في أنَّ همزة (أيمن الله) همزة وصل لا همزة قطع[3].

ويوافقه أيضاً في أنَّ العامل في (درهماً) من قولنا: (أُعطِيَ زيدٌ دِرهَماً)، فعل المفعول الذي لم يسمّ فاعله لا فعل الفاعل المحذوف كما ذهب إلى ذلك قوم من النحويين، واحتج له بحجتين[4].

ويدافع عن مذهب سيبويه في إعمال (فعل) من صيغ المبالغة عمل فعله، الأمر الذي خالفه فيه النحويون[5].

---

١) إصلاح الخلل ١٧٠.

٢) إصلاح الخلل ١٨٢ والإنصاف؛ المسألة ٢٥.

٣) إصلاح الخلل ٢٠٥، والكتاب ٢/١٤٧.

٤) إصلاح الخلل ٢١١، والكتاب ١/١٩.

٥) إصلاح الخلل ٢٢١، والكتاب ١/٨٥، والمقتضب ٢/١١٥.

كما يدافع عن مذهبه في أنَّ الناصب للفعل المضارع بعد (فاء) السببية و (واو) المعيّة (أَنْ) مُضمرَةَ وجوباً لا (الواو) أو (الفاء) كما يرى ذلك الكوفيّون، والجَرميّ من البصريين[1].

غير أنَّ ذلك كلّه لم يمنعه من موافقة الكوفيين في مواقف قليلة حين يرى الشواهد التي تؤيّد مذهبهم من الكثرة بحيث يصعب تأويلها أو ردّها.

فهو يرى رأيهم في جواز منع صرف الاسم المصروف لضرورة الشعر، الأمر الذي وافقهم فيه الأخفش وأبو علي الفارسي من البصريين وابن مالك وابن هشام وجماعة من المتأخرين[2].

ونقل عن الكوفيين أيضاً مذهباً ثالثاً في إعراب جمع المذكر السالم المسمّى به وهو، لزوم (الواو) وإعراب (النون)، فتقول: (جاءَ زيدونُ) و(ورأيتُ زيدونا) و(مَرَرتُ بزيدونِ). وقال: وقد جاءت ألفاظ من هذا النوع كثيرة نحو (حمدون) و (طولون)، وهو في أسماء العامة كثير نحو (عسرون) و(حزمون) و(عبدون) و(سحنون)[3].

---

١) إصلاح الخلل ٢٥٦، والإنصاف؛ المسألتان ٧٥، ٧٦.

٢) إصلاح الخلل ٣٧٩، والإنصاف؛ المسألة ٧٠.

٣) إصلاح الخلل ٤٨٢.

كما سكت عن مذهبهم في جواز مـدّ المقصـور عنـد ضرورة الشعر، وأورد شاهدهم في ذلـك ولـم يعقـب عليـه برفض أو تأويل[1].

ويمكن ملاحظة أنَّ لابن السِّيد جهوداً خاصـة فـي تبويب بعض المسـائل وتقسـيمها ووضـع الحـدود الفاصـلة بين أقسامها، الأمر الذي تردد صـداه فـي مصـنّفات النّحـاة الذين جاءوا بعده مثل (مُغني اللّبيب) لابن هشام.

ففي كتاب (المسـائل والأجوبـة)، وكتـاب (إصـلاح الخلل) نرى ابن السِّيد يضـع مبحثـاً خاصـاً للتفريـق بـين البدل والنعت، وعطف البيان ويسجّل لكـل واحـد مـن هـذه التوابع خواص تميّزه من غيره، كمـا يسـجّل أيضـاً الوجـوه التي تشترك فيها هذه التوابع وتلتقي. ويسـتغرق هـذا البحـث في كتاب (المسائل والأجوبـة) نحـو سـت ورقـات، وهـي مساحة ليست بالقليلة. كما يسـتغرق المبحـث نفسـه حـوالي تسع صفحات من كتاب (إصلاح الخلل)[2].

وممّا نقل عن ابن السِّيد فـي كتـب المتـأخرين مـن توجيهاته التي قال بها أن المضـمر لا يعطـف عليـه عطـف

---

١) المصدر نفسه ٥٠٤.

٢) المسائل والأجوبة ٦٣-٦٦، وإصلاح الخلل ١٠٦.

بيان، قال في (المسائل والأجوبة): فإني لم أر في ذلك لأحد من النحويين قولاً. والقياس عندي أنه لا يجوز، لأنَّهم قد جعلوا عطف البيان بمنزلة النعت، فيجب أن يجرى في الامتناع من الجواز مجراه[1]. قال ابن هشام: منع ابن السِّيد في كتاب (المسائل والأجوبة) وابن مالك في (التسهيل) كون عطف البيان تابعاً للمضمر لامتناع ذلك في النعت؛ ولكنْ أجاز سيبويه: (يا هذان زيد وعمر)، على عطف البيان، وتبعه الزيادي[2].

ويمكن القول، في حدود ما لدينا من آثار ابن السِّيد النحوية، أنَّ الرجل استوعب تراث المتقدمين من البصريين والكوفيين، وعامة المتأخرين من النحاة. وأنَّه استطاع أن يكون لديه ثروة نحوية زاخرة جعلته مقصداً لكلّ السائلين عمّا يُشكل من عويص المسائل النحوية واللغوية ويفرد فيها، من خلال إجاباته، مباحث نافعة تلوح منها أمارات الذكاء والنفاذ الدقيق والاجتهاد، على نحو ما مرّ بنا في مبحث (رُبَّ)، وفي مبحث التصغير الذي يراد به التعظيم[3].

---

١) المسائل والأجوبة ٦٥.

٢) مغني اللبيب ٢/٥٧٥.

٣) المسائل والأجوبة ٩٤ ظ .

ولا ريبَ أنَّ ابن السِّـيد أفـاد كثيـراً مـن عناصـر ثقافته المتنوّعة، ولا سيّما علم الجدل، ليَعدَّ نفسـه للـدفاع عـن آرائه في المسائل النحوية المتنازع عليها.

سابعاً: شعره

لم يرد في أخبار ابن السِّيد وتراجمه أنَّه ترك ديوان شعر، كما لم يرد ذكر لذلك في كُتُب الأدب أو كُتُب الفهارس(١). غير أنَّ معاصره وصديقه الفتح بن خاقان (ت٥٣٩هـ) وهو واحد من مشاهير أدباء الأندلس وكتّابها ووزرائها ترجم له ترجمة وافية(٢). ونقل فيها جل ما نظم من شعر مما هو عماد هذه المجموعة التي ننشرها اليوم(٣). كما ترجم له أيضاً ترجمة وافية في كتابه (قلائد

---

١) بعد أكثر من عشر سنين من نشر هذا البحث لأول مرة رأيت في فهرس معهد المخطوطات التّابع لجامعة الدول العربية عنواناً لمجموع ''شعر ابن السِّيد البَطَلْيوُسي''؛ ولم أُفلح في الحصول على مصوّرة منه على الرغم من اتصالي بالمعهد المذكور في الكويت.

٢) لهذه الترجمة نسخة خطية بمكتبة الاسكوريال برقم ٤٨٨ وكان المقري قد أدرجها بنصّها الكامل في كتابه: أزهار الرياض ١٠٣/٣، وعليه عوّلنا في هذه الدراسة. ويذكر أنَّ هذه الترجمة كانت بضمن كتاب كبير وضعه ابن خاقان في تراجم بعض أعيان الأندلس، ثم بدا له لأسباب خاصة أن يطوي كتابه عن الناس ويقتصر منه على أظهار ترجمة ابن السِّيد فقط.

٣) يبلغ مجموع ما جاء له في هذه الترجمة إحدى وثلاثين قصيدة ومقطوعة.

العقيـــان) وأورد لـــه طائفـــة أخـــرى مـــن القصـــائد والمقطوعات[١].

ولمّا كان ابن خاقان قد كتب هـــاتين التـــرجمتين فـــي حياة ابن السِّيد[٢]. فلابد أن تكون هنـــاك أشـــعار أخـــرى لـــم يقيّدها فيهما. وقد مرّ بنا فـــي ذكـــر مصـــنّفاته أنَّ ابـــن خيـــر الأشبيلي (ت٥٧٥هـ) روى له قصيدة فـــي رثـــاء ديـــك، ولـــم يرد شيء منهـــا فيمـــا رواه لـــه ابـــن خاقـــان. لـــذا حاولـــت استقصاء المراجع الأندلسية التي عاصرت ابـــن السِّـــيد والتـــي جاءت بعده آملاً أن أجد فيها ما لم يروه ابـــن خاقـــان ، وقـــد وجدت فيها فعلاً بعـــض المقطوعـــات التـــي نـــدت روايتهـــا عنه، فكانت حصيلة هذه الجولة المجموعة التـــي بـــين أيـــدينا من شعر ابن السِّيد.

---

١) يبلغ مجموع ما جاء له في هذه الترجمة اثنتي عشرة قصيدة ومقطوعـــة وردت ثلاث منها في الترجمة السابقة.

٢) يتضح ذلك بجلاء لكل من يقرأ هاتين الترجمتين بإمعان، ولاعبرة بمـــا يرد فيهما من صيغ الترحم على ابن السِّيد في بعض المواضـــع، فقـــد يكون ذلك مما أضيف إليهما فيما بعد.

ثامناً: موضوعات شعره[1]

تتردد موضوعات ابن السِّيد بين الوصف والغزل والمديح والإخوانيات والزهد والخمريات والرثاء والفلسفة، وهي موضوعات الشعر العربي التقليدية وتخلو أشعاره من الهجاء الذي يبدو أنَّه لم يكن يلائم مزاجه.

ففي الوصف توجد سبع قطع، وفي الغزل ثمان، وفي المديح سبع، وفي الإخوانيات تسع، وفي الزهد ست، وفي الخمريات أربع، وفي الرثاء اثنتان وفي الفلسفة ثلاث، وواحدة في الحكمة، واخرى في مدح الرسول عليه السلام [2].

١) لابد من القول هنا أننا اضطررنا تحت تأثير التقليد المتبع في نشر أشعار القدماء ودواوينهم إلى أن نرتب أشعار ابن السِّيد بحسب القوافي لا بحسب الموضوعات، ولابد أن يكون في هذا الترتيب مجابهة للقارئ بما يقطع عليه تيار المشاعر النفسية التي تخلقها في نفسه قراءة قصيدة أو مقطوعة ذات موضوع معين حين ينتقل إلى قراءة القصيدة التي تتلوها والتي قد يكون موضوعها نقيضاً لموضوع سابقتها.

٢) لابن السِّيد قصيدة تعليمية في بعض الموضوعات النحوية أثبتها السيوطي في الأشباه والنظائر.

والواضح أنَّ حياة ابن السِّيد التي كانت تفتقر إلى الاستقرار وملازمة موطن بعينه، ولاسيما في الصدر الأول منها، قد فرضت على شعره موضوعات خاصة.

فقد كان تقربه إلى الملوك ورجال الحكم في دول الطوائف التي عاصرها مبعث عامة قصائد المديح والرثاء والإخوانيات التي تتردد في أشعاره. بل إِن عدداً من قصائد الوصف عنده تستمد موضوعاتها من مجالس الملوك والوزراء ومقتنياتهم كالخيل ونحوها، يستثنى منها مقطوعة في وصف حمّام تقع في ستة أبيات.

وقصائده الإخوانية غالباً ما يخاطب بها أصدقاءه ومعارفه من كتّاب ملوك الطوائف ووزرائهم.

والمرثيتان اللتان في هذا المجموع الشعري أولاهما في رثاء الوزير أبي بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية وعامل بني ذي النون عليها. والثانية في تعزية الوزير الكاتب أبي عيسى بن لبّون في أخيه، وهي إلى الاعتبار والاتعاظ بحوادث الدنيا وصروفها أقرب منها إلى الرثاء الذي يقتضي تمجيد الفقيد كما هو مألوف في المراثي.

وزهديات ابن السِّيد تتجلى فيها خلاصة تجربته في الحياة والحكمة التي استخلصها مما مرّ به من أحداث

وما وعى من أفكار فلسفية، وبخاصة تلك التي يختلي فيها بنفسه يناجي ربّه ويتضرّع إليه صادقاً مخلصاً.

ولابد أن تكون هذه المقطوعات من أواخر ما نظم ابن السِّيد في حياته، فهو يكثر فيها الشكوى من ثقل الذنوب، ويعلن الضراعة والتوبة لله على ما جنى، ويتوسل بمودته للنبيّ وتمسكه بشريعته لنيل شفاعته في الدار الآخرة.

ومقطوعاته الغزلية لا تخرج في مضمونها عن نطاق الغزل التقليدي الذي يتحدث عن بكاء المحبوب الراحل والتشوق إليه، والأرق لفراقه، أو التطلع إلى أخباره ورسائله وانتظار طيفه والشكوى من صدّه وهجره.

والذي يلفت النظر في أشعار ابن السِّيد التي بين أيدينا أنَّها تخلو تماماً من الحديث عن أسرته وأهله، فلا نجد فيها إشارة تذكر إلى أحد من هؤلاء، وقد كان متوقّعاً أن نجد له مثلاً مرثيّة في أخيه علي بن محمد الذي قرأ عليه أبو محمد كثيراً من كتب اللغة والأدب وكان من علماء عصره كما مرّ بنا، وقد تُوفي في حبس السّلطان حوالي عام (٤٨٠هـ). ومن يدري فربّما نظم مرثيّةً في أخيه وكتمَها خوفاً من السّلطان فلم تصل إلينا.

والواضح أنَّ الصورة التي تجسّمها لنا أشعار ابن

السِّيد في مضامينها هي صورة الإنسان المثقّف الذي تضطرب به سفينة الحياة وهو في سعيه الدائب من أجل الوصول إلى شاطئ الأمان والاستقرار فهو يبحث عن فرصة الحياة في كنف أصحاب السلطان والنفوذ، يعرض موهبته وثروته الثقافية ليضعها في خدمة هؤلاء كاتباً ونديماً وربما مؤدباً '' خدم الرياسات وعلم طرق السياسات''[1].

وهو على الرغم من إنكاره استغلال شعره في هذا السّبيل:

ولا أنا ممن يرتضي الشعر خطة　　فتجذبه نحو الملوك المطامع

فإنّه لا يكتم هذه الحقيقة التي حكمت قانون الشعر العربي زماناً طويلاً. فهو يقول لممدوحه:

إذا غرست كفاك غرس مكارم　　بأرضي أجنتك الثنا منه أغصان

ويقول لآخر:

رياض لنا سجع بمدحك وسطها　　كأنّا على أفنانهن حمائم

وهو مع إخلاصه لممدوحيه وتفانيه في خدمتهم، كما يُعبّر في قوله:

ولو أنّني في ملحدي ودعوتني　　للبّتك من تحت الصعيد رمائمي

---

١) أزهار الرياض ٣/١٠٦.

لم يسلم من إيذائهم وتنكيلهم بأهله، فقد مات أخوه علي في حبس ابن عكاشة بقلعة رباح حوالي عام (٤٨٠هـ). الأمر الذي اضطر أبا محمد إلى مغادرة مملكة بني ذي النّون إلى دولة ابن رزين في السهلة.

ويظلّ في خدمة ابن رزين مدةً طويلةً يعمل عنده كاتباً في الأمور الديوانية ''فيرفعه أرفع محل وينزله منزلة أهل العقد والحل''[١] بحسب تعبير ابن خاقان؛ لكنّه لا يلبث أن يهجره مضطرّاً ويهرب منه خوفاً من تنكيله وبطشه. فقد عرف هذا الملك ''بسطواته الباطشة ونكباته البارية لسهام الرز الرائشة، فقلما سلم منها مفاد الأموال ولا أحمد عقباه معه صاحب ولا وال''[٢]. ويحمل همومه معه إلى ممدوحه الجديد ابن هود في سرقسطة فيتقدم إليه بمدحة جديدة يشير فيها إلى خيبة أمله في ابن رزين صاحب شنتمرية.

رحلنا سوام الحمد عنها لغيرها فلا ماؤها صُدّا ولا النبت سعدان

ويستعطفه قائلاً:

فيا مستعيناً مستعاناً لمن نبا به وطن يوماً وعظته أزمان

١) أزهار الرياض ٣/ ١٢٣.

٢) المصدر نفسه ٣/ ١٢٣.

كسوتك من نظمي قلائد مفخر   يباهي بها جيد المعالي ويزدان

ومع أنَّ ممدوحه الجديد استقبله بحفاوة وإكرام، وبالَغ في العناية به تقديراً لمنزلته في العلم والفضل، فإنَّ أخباره تقول إنَّه لم يطل المقام عنده، بل غادره إلى قرطبة ثم إلى بلنسية؛ ليستقرَّ فيها بقية عمره منصرفاً إلى التدريس والتأليف وتكون علاقته بابن هود آخر علاقة له بالملوك وأصحاب السلطان.

وهذه الصورة التي تجسّمها لنا قصائد المديح عند ابن السِّيد وتعكس لنا بصورة غير مباشرة أزماته المتكررة مع الحكّام والسلاطين، وخيبة أمله فيهم واضطراب حياته معهم.

قالت أرى ليل الشباب بدت   للشيب فيه أنجم زُهَرُ

فأجبتها لا تكثري عجباً   من شيبة لم يجنها كِبَرُ

لكنْ طويت من الهموم لظى   أضحت لها في عارضي شَرَرُ

هذه الصورة تقابلها صورة أخرى تتجلى في بعض قصائده الإخوانية في الوزراء والكتّاب وبعض مدائحه في ملوك عصره وبعض غزلياته.

هنا يتجلّى لنا ابن السِّيد إنساناً يقبل على لذائذ الحياة وأطايبها مشاركاً هؤلاء الممدوحين والأصدقاء نصيبهم من مظاهر الترف واللّهو.

يــا ربّ ليل قد هتكت حجابه		بمُدامـــةٍ وقّــادةٍ كالكوكـــبِ
يسعى بها أحوى الجفون كأنَّها		من خدّهِ ورضابِ فيه الأشنبِ

وفي قصيدة أخرى يقول:

وكم للصّبا عندي يد لست جاحداً		لها انَّ كفران الإيادي جحودها
ليالـــي أسري فـــي ليالي غدائر		كواكبـــها حلي المها وخدودُها
وأهصر أغصــان القدود فتنثني		عليَّ برمُـــّان النحور نهودها

ويخاطب صديقه الوزير ابن لبّون:

قم نصطبح من قهوة بكر		حتى نُرى صرعى من السّكر(1)

ويقول أيضاً:

تقضَّى الصِبا واللهوُ إلا حشاشةً		تجدّد لي عهدَ الصبا المتقادمِ

وكان هذا إيذاناً بمرحلة جديدة في شـــعر ابـــن السِّــيد، تلك مرحلة من الزهد والتأمـــل فـــي حصـــاد الأعـــوام التـــي عاشها، وتجربة الحياة التي خاضها، فإذا هـــي ــ فـــي نظـــره ــ لا تكشف إلا عن هباء عقيم في نهاية مآلها.

وما دارنا إلا مَواتٌ لو أنَّنا		نفكّر والأخرى هي الحيوان

وفي قصيدة الرّثاء يقول:

يُسَرُّ الفتى بالعيش وهو مبيده		ويغترّ بالدنيا وما هي داره

ويتعزّى عن هذا المصـــير بأنَّـــه ســـيترك فـــي هـــذا العالم ما يخلّد ذكراه بعد موته واندثار شخصه:

---

1) وينظر في هذا أيضاً المقطوعات ٣١، ١٨، ٤٢.

أخو العلم حيّ خالد بعد موته   وأوصاله تحت التراب رميمُ

ثم يحس ـــ مع تقدم العمر به ــ بوطأة ما اقترف في حياته من آثام لا يرضاها له الشرع فيخاطب مكة قائلاً:

وهل تمحُوَنْ عنّي خطايا اقترفتها   خطى فيك لي أو يَعملاتٌ رواسمُ

ويتضرّع إلى ربّه قائلاً:

فهل لجهول خاف صعب ذنوبه   لديك أمان منك أو جانب سهل

ويلوذ برسول الله مخاطباً إيّاه:

إليك أفِرّ من ذلّي وذنبي   فأنت إذا لقيت الله حسبي

عسى ودّ ثوى لك في فؤادي   على بعد سيوجب منك قربي

هذه إذن هي صورة ابن السِّيد كما تمثلها أشعاره، صورة الإنسان المتعلم الطموح إلى أن يأخذ نصيبه من الحياة فيقوده طموحه إلى التقرب من أصحاب النفوذ والسلطان يعرض عليهم بضاعته من شعر وعلم فيوفق معهم حيناً، ويخفق في مسعاه أحياناً. ثم تقوده خيبته معهم إلى أن يرتد إلى نفسه متأمّلاً فيما جنى من رحلة الضنى فإذا الذي بين يديه فراغ مريع لا يعزّيه فيه إلا ما ترك من أثر علميّ في نفوس مريديه، وفيما خلّف من آثار ومصنّفات. □

تاسعاً: خصائص شعره الفنية

لا يمكن الحديث عن الخصـــائص الفنيـــة فـــي شـــعر ابن السِّيد بمعزل عما كان سائداً في الشـــعر الأندلســـي عامـــة من تقاليد فنية في تلك الحقبة.

والمعروف لدى دارســـي الأدب الأندلســـي أنَّ الشـــعر الأندلسي كان خاضعاً خضوعاً مطلقـــاً للقـــيم الفنيـــة الســـائدة في أشعار المشارقة، ابتـــداء مـــن شـــعراء الجاهليـــة وانتهـــاء بشعراء العصـــر العباســـي الثـــاني وبخاصـــة المتنبـــي وأبـــا العلاء.

ونحن نعلـــم أنَّ الأندلســـيين أبـــدوا اهتمامـــاً خاصـــاً بالشعر العربي القـــديم فعمـــل الأعلـــم الشـــمنتري (ت٤٧٦هـ) شرحاً على أشعار الجاهليين الســـتة التـــي رواهـــا الأصـــمعي وسماه: (العقد الثمين في شرح أشعار الســـتة الجـــاهلين)، كمـــا عمل مواطنه ابن عصفور الأشبيلي شـــرحاً علـــى نفـــس هـــذه المجموعـــة، وشـــرحوا دواويـــن أخـــرى لشـــعراء جـــاهليين وإسلاميين، وأبدوا اهتمامـــاً خاصـــاً بـــديوان المتنبـــي وأبـــي العلاء فتدارسوهما وشرحوهما حتى كـــان ابـــن السِّـــيد نفســـه من بين شراحهما.

لذا يكون من المألوف أن نجـــد أثـــر هـــذا كلّـــه فـــي شعر ابن السِّيد. وإذا كـــان عصـــر الطوائـــف والمـــرابطين ــ

الذي عاش ابن السِّيد ثمانية عقود منـــه ــ قــد شـــهد اشـــتداد مذهب العرب في مبنى الشـــعر وموضـــوعه، ذلــك المـــذهب الذي يقوم من حيث مبناه علـــى قاعـــدتين مهمتـــين تتصـــلان بموسيقاه العامة وهما الجزالـــة وشـــدة التـــدفيق[1]. فبالإمكـــان أن نتلمس أثر هذا المذهب فيما نظم ابن السِّيد من شعر.

فهو يختار البحور ذات الوقع الشـــديد فـــي عامـــة مـــا ينظم، فمن بين خمسين قصيدة ومقطوعـــة يضـــمها المجمـــوع الذي بين أيدينا نجد منها خمساً وعشرين جـــاءت مـــن البحـــر الطويل وثماني من البحر الكامل وثلاثـــاً مـــن البحـــر البســـيط وثلاثاً من الـــوافر. أمـــا الرمـــل والمتقـــارب والرجـــز فـــلا تتجاوز في مجموعها سبع قطع.

ويمكن ملاحظة ظاهرة الجزالة والتـــدفق فـــي الألفـــاظ في عامة القصائد والمقطوعـــات التـــي بـــين أيـــدينا، فمطـــالع ابن السِّيد من مثل:

حلفت بثغر قد حمى ريقه العذبـــا   وســـلّ عليه من لواحظه عضبا

* * *

أما انـــه لولا الدموع الهوامـــع   لمـــا بانَ مني ما تُجِنّ الأضالع
وكم هتكت سترَ الهوى أعينُ المها   وهاجت لي الشوقَ الديارُ البلاقعُ

---

١) تاريخ الأدب الأندلسي ــ عصر المرابطين؛ د. إحسان عباس: ١٠٨.

تذكرنا بمطالع المتنبي الفخمة في جزالة ألفاظه وشدة وقع موسيقاها، كما أنها ليست بعيدة أيضاً عن جزالة ألفاظ أبي العلاء، وشدة إحكامها كما تبدو في قصائد سقط الزند مثلاً.

على أنَّنا نجد تأثر ابن السِّيد بأسلافه من الشعراء يذهب إلى أبعد من هذا حين يأخذ معانيهم فيصوغها بألفاظ أخرى.

يقول في إحدى زهدياته مخاطباً ربَّه:

تباعدت مجداً وادّنيت تعطّفاً وحلماً فأنت المُدَّني المتباعد

وهو في هذا معتمد على قول أبي تمام في أحد ممدوحيه:

دنوت تواضعاً وعلوت مجداً فشأناك انخفاض وارتفاع
كذاك الشمس تبعد أن تسامى ويدنو الضوء منها والشعاع

وكان البحتري قد تصرف فيه على نحو آخر حين قال:

دانٍ على أيدي العفاة وشاسعٌ عن كلّ نِدٍّ في الندى وضريب
كالبدر أفرط في العلو وضوؤه للعصبة السارين جدُّ قريبِ

ويقول ابن السِّيد في النسيب:

قضى الله أن أشقى وغيري بوصلكم سعيدٌ ومن يسطيع ردّاً لما يقضي

فيذكّرنا بما ينسب للمجنون من قوله:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلاّ بشيء غير ليلى ابتلانيا

ويقول مخاطباً ممدوحه:

ولو أنني في ملحدي ودعوتني للبتك من تحت الصعيد رمائمي

فيذكّرنا بقول توبة بن الحمير:

ولـــو أنَّ ليلى الأخيلية سلمت علـــيَّ ودونـــي جندلٌ وصفائح

لسلَّمت تسليم البشاشة أو رقا إليها صدى من جانب القبرصائح

وقد يبلغ التأثر بالقدماء عند ابن السِّـيد حـدًاً يجعلـه يضمن أشطراً من شعرهم في قصائده. فهو يقـول فـي صـفة فرس:

ملك النواظرَ والقلوب بحسنه فمتى ترقّ العينُ فيه تسَّهلِ

وقبله قال امرؤ القيس في فرسه:

ورحنا يكاد الطرف يقصرِ دونه متّى ما ترقّ العين فيه تسَّهلِ

ويقول في رسالة جاءته من محبوب:

كأنَّه حين جلَّى الحزنَ عن خَلَدي قميصُ يوسف في أجفان يعقوب

وقبله قال المتنبي في مدح كافور:

كأنَّ كل سـؤال فـي مسامعه قميصُ يوسفَ في أجفانِ يعقوبِ

وقد يذهب التأثر بالقدماء عند ابن السِّـيد حـدا يجعلـه يذكر في شعره مواضع من بلاد العرب لم يرهـا فـي حياتـه قط، بل هو يجاري فـي ذلـك شـعراء جـاهليين واسـلاميين يقول:

خليلي ما لي كلما لاح بارق　　تذكرت برقاً بالعقيق وزينبا

و(العقيق) اسم يقع على أماكن عدة في بلاد العرب أشهرها واد بالحجاز قرب مكة. ولعل اسم (زينب) هنا لا يقصد به فتاة بعينها.

ويقول أيضاً:

إذا عن لي ظبيٌ بوجرة شادن　　تذكرت من عنَّى الفؤاد وعذبا

و(وجرة) كما نعرف من مواضع بلاد العرب كثير الظباء ورد ذكره في معلقة امرئ القيس وغيرها.

ويمكن أيضاً ملاحظة أثر أبي العلاء المعري بوضوح في بعض قصائد ابن السِّيد. فالمعروف أنَّ أبا العلاء ــ كما يقرر ابن السِّيد نفسه في مقدمة شرح سقط الزند ــ اكثر في شعره من الغريب والبديع ومزج المطبوع بالمصنوع، فتعقدت ألفاظه وبعدت أغراضه، وكان يحاول بناء بعض قصائده ومقطوعاته ولا سيما في لزوم ما لا يلزم على الحروف التي يندر أن ترد في قوافي الشعراء مثل الضاد والكاف والزاي ونحوهما.

وفي شعر ابن السِّيد نجد قصيدة يمدح بها الوزير أبا محمد بن الفرج يورد فيها مجموعة من الألفاظ الغريبة والألفاظ الثقيلة على السمع مثل: (عنتريس)، و(شرواض)، و(خضخاض)، و(عرمض)، و(الاغماض)، و(الانقاض)،

و(كرعت)، ونحوهما. ويختـــار لهـــا حـــرف الضـــاد ليكـــون رويّاً فيها. ولا شك أنَّه كان غيـــر مضـــطر إلـــى ذلـــك وهـــو الرجل الفصيح المالك لأزمَّة اللغة وأساليب التعبير.

وكما تنعكس أصداء الشـــعراء القـــدامى فـــي قصـــائد أدب ابن السِّيد تنعكس أيضاً أصـــداء مكوناتـــه الثقافيـــة، فهـــو رجل متفلسف أو فيلســـوف كمـــا يـــراه بعضـــهم، اســـتوعب نظريات الفلاسفة وأفكارهم، فما لبثت أن تمثلـــت فـــي شـــعره أبياتاً ومقطوعات. فصورة الشـــاعر الفيلســـوف تطالعنـــا فـــي قوله مخاطباً الإنسان:

تتيه وقد أيقنت أنَّك ممكن فكيف لو استيقنت أنَّك واجب

وفي قوله أيضاً:

أنـــت وَسْط ما بيـــن ضدّين يا إنسان ركبت صورة في هيولى

ولم تنج أشـــعاره مـــن ألفـــاظ الفلاســـفة والمتكلمـــين، فهو يقول مخاطباً الإنسان:

تجوهرك الأدنى عنيت بحفظه وضيَّعتَ من جهل تجوهرك الأقصى

ويخاطب ربه قائلاً:

أَ غيرَكَ أدعو لي إلهاً وخالقاً وقد أوضح البـــرهان أنَّك واحدُ

وهل يوجد المعلول من غير علّةٍ إذا صحَّ فكرٌ أو رأى الرشدَ راشدُ

وكـــلّ وجود عـــن وجودك كائن فواجد أصنـــاف الورى لك واجدُ

سرت منك فيها وحدةٌ لو منعتها لأصبحت الأشيـــــاءُ وهي جوامدُ

ويلاحظ أيضاً أنَّ ثقافته الدينية لم تكن أقل وضوحاً في شعره من ثقافته الفلسفية، فهو يضمّن أشعاره بعض الآيات القرآنية. يقول:

وربك يعلم ما في الصدور   ويعلم خائنة الأعين

وهو يحكي قوله تعالى في سورة غافر:١٩ ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾.

ويقول أيضاً:

لن تنالوا البر حتى   تنفقوا مما تحبون

فيحكي قوله تعالى في سورة آل عمران ٩٢: ﴿ **لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾.

على أنَّ هذا الذي قررناه من تأثّر ابن السِّيد بأسلافه من قدامى الشعراء لايعني حرمانه من موهبة الإبداع وابتكار المعاني الجديدة، ولو على قلة، فابن خاقان صاحبه ومعاصره ينقل قوله:

تُرى ليلنا شابت نواصيه كبرةً   كما شبتَ أم في الجو روضُ بهارِ
كأنَّ الليالي السبعَ في الأفق جُمّعت   ولا فضل فيما بينها لنهار

فيصفه بأنَّه يُعدّ مما ابتكر معناه واخترع[١]. وقد تكون شاعرية ابن السِّيد وثقافته وعلمه هي مبعث اعتزازه

---

١) أزهار الرياض ٣/١٢٧.

بشعره وبخاصة ذلك الذي يمدح فيــه ملــوك عصــره، فهــو يشير إلى نزوحه عن شنتمرية خوفاً مــن تنكيــل ابــن رزيــن به بعد أن خدمه:

جفتنا بلا جُــرمِ كــأنَّ مــودَّةً ... ثنــى نحونا منها الأعنة شنآنُ
ولو لم تُفِد منّا سوى الشعر وحدَه ... لحقّ لنــا بــِـرٌّ عليه وإحسانُ

ثم يتوجه إلى ممدوحه الجديد مخاطبــاً بلهجــة الواثــق بنفسه وشعره:

كسوتك من نظمي قلائد مفخر ... يباهي بها جيدُ المعالي ويزدانُ
معان حكت غنجَ الحسان كأنَّني ... بهنَّ حبيب أو بطليوس بغدانُ

ويريد بــ (حبيب): أبا تمام الطائي.

والظاهرة التي تلفت انتباه قــارئ شــعر ابــن السِّــيد هي إغراقه لقصائده وأبياته بســيل مــن المحسّــنات البديعيــة من جناس وطبــاق وتشــريع ومراعــاة للنظيــر ورد العجــز على الصدر ونحوها. وقلّما تخلــو مقطوعــة أو قصــيدة مــن هذه الزخرفة اللفظيــة والموســيقية التــي لايمكــن أن تكــون عفوية غير مقصودة لذاتها.

ومنذ الأبيات الأولى في المجموع الــذي بــين أيــدينا نواجه بقوله في وصف حمّام:

شقا هجر يشوب نعيمَ وَصلٍ ... وحرٌّ النار في برد الهواء

وبقوله في قصيدة في النسيب:

أُأَيّس بالنائين نوماً مشرّداً وأطمع بالثاوين قلباً معذبا

وفي أخرى من الإخوانيات:

وفرحة لقيا أذهبت ترحة النوى وعُتبى حبيب هاجرٍ أعقبت عتبا

وفي أخرى من النسيب:

فيا قمراً أغرى بي النقصَ واكتسى كمالاً ووافى سعدُه وشقيتُ

وليــتِ فرقــّي إذ وليتِ لهائــمٍ سباه لمَى كالشهد منك وليــتُ

ففي هذه الأبيات من ألوان الجنــاس والطبــاق مــا لا يخفى على القارئ.

وتتردد الاستعارات والتشــبيهات فــي شــعره كثيــراً. ولعل أجمل ما جاء من ذلك وصفه دنو الصباح:

كأن ضياء الصبح في الليل إذ سرى بصيرةُ إيمانٍ سرت في عمى كفر

كأن مهــا في الأفق ريعت وقد بدا لها ذنبُ السّرحان من وَضَحِ الفجر

والمها هنا كنايــة عــن النجــوم التــي تبــدو ضــئيلة شاحبة مع تزايد ضوء الفجر، وذنــب الســرحان هنــا كنايــة عن الفجر الكاذب الــذي يســبق الفجــر الصــادق. ومــع أنّ التشبيه في البيت الأول من التشبيه المقلوب فإنّــه فــي مفهــوم الصنعة الشعرية من التشبيهات الطريفة.

ومن ذلك أيضا قوله في النسيب:

ليالي أسري في ليالي غدائر كواكبُها حَليُ المها وخدودُها

ومن تقسيماته البديعية قوله:

فما شئتَ من شكوى أرقّ من الهوى   وما شئت من نجوى ألذّ من الخمر

وربما بلغت عناية ابن السِّيد بالموسيقى اللفظية في شعره ذروتها في هذين البيتين حيث يتمثّل فيهما ما يسمّيه البلاغيون بالتشريع:

طيف سرى من خاطر القلب الذوي   فوفى لنا بعداته وقضى الوطر

بذ الكرى عن ناظر الصب الجوى   وشفى الضنى بهباته ومضى حذر

ولو أردنا الاسترسال في انتقاء أمثال هذه النماذج البديعية لامتد بنا القول إلى حد إثارة السأم في نفس القارئ وانتفت معه جدوى هذا العرض الذي نريده أقرب إلى الإشارة منه إلى التفصيل والإطالة.

وقد يبدو من المناسب القول هنا: إنّ ظاهرة الولوع بالمحسنات البديعية والموسيقى اللفظية كانت واحدة من ملامح الأدب الأندلسي في ذلك العصر، شعره ونثره، بل هي سمة واضحة من سمات الأدب العربي في جميع أقطاره. وقد بلغت ذروتها فيما أنشأه الكتاب العرب من المقامات في المشرق وفي المغرب أيضاً وفيما كتبوا أيضاً من رسائل ديوانية واخوانية وغيرها.

وكان ابن السِّيد فيما نقل إلينا من رسائله التي أشرنا إليها في ختام الحديث عن مصنفاته واحداً من هؤلاء الكتاب الذين كانت عنايتهم بالسجع واهتمامهم بموسيقى

الألفاظ تطغى على كتاباتهم طغياناً واسعاً، ولا ريب في أنّ انتشار فن الزخرفة القائم على تكرار الأشكال الهندسية أو الطبيعية من أغصان وأزهار ونحوها في جميع مرافق الحياة عند العرب والمسلمين كالمباني واللباس وأدوات الاستعمال اليومي وما يشاكلها، كان السبب الأول وراء ظاهرة انتشار الزخارف اللفظية والولوع بالمحسّنات البديعية في أدب العرب في عصوره المتأخرة.

وبعد؛

فهذه هي أشعار ابن السِّيد الأديب اللغوي النحوي الفقيه الفيلسوف المحدث، تعكس في مجملها صورة لحياته وتقلباتها وعلاقاته مع معاصريه من حكام ووزراء ورجال ثقافة، كما تنعكس فيها صورة لثقافته في جوانبها المتنوعة، ولمشاعره الدينية، وما كان يجول في ذهنه حين يخلو إلى نفسه مراجعاً مسيرته في الحياة محصياً ما اقترف من أخطاء وذنوب أيام كان يسعى إلى أخذ نصيبه من الحياة التي أتيحت له في كنف أصحاب النفوذ والسلطان من معاصريه.

عاشراً: نصوص أشعاره

(١)

قال يصف حَمَّاماً: (من الوافر)

١. أرى الحمَّام موعظة وذكرى ... لكلّ فتًى أريـــبٍ ذي ذكــاءِ
٢. يذكّرنا عذاب ذوي المعاصي ... وأحيـــانـــاً نعيـــمَ الأتقيـــاءِ
٣. شَقَا هَجْرٍ يشوبُ نعيمَ وصــلٍ ... وحرُّ النارِ في بــرد الهواءِ
٤. إذا ما أرضُهُ التهبــت بنــارٍ ... تبــادرَ سَمكه هَطْلاً بمــاءِ
٥. كصدرِ الصَّب جاش بما يلاقي ... فلجَّ الطرفُ منـــه بالبكـاءِ
٦. كأن لــه حبيبــاً بــان عنـــهُ ... فبان وخانه حُسنُ العَـزاءِ

(٢)

وقال: (من الطويل)

١. تتيه وقد أيقنتَ أنَّك ممكنٌ ... فكيف لو استيقنت أنك واجبُ!؟
٢. وهل لك عن عدن، إذا متّ، أو لظى ... محيص يرجَّى أو عن الله حاجبُ

(٣)

قال يتغزل: (من الطويل)

١. تأوَّبه من همه ما تأوّبا ... فبات على جمر الأسى متقلبــا

٢. مرت[١] مُزنَ عينيه غداة تحمّلوا عواصفُ ريح الشوق حتى تصببا

٣. دموعٌ هتكن الستر عن مضمر الجوى وأبدين من سرالهوى ما تغيّبا

٤. خليلي ما لي كلّما لاح بـــارقٌ تذكّرت برقا بالعقيق[٢] وزينبا

٥. أُأَيّسُ بالنائيـن نـوما مُشـرَّدا وأُطمِعُ بالثّاوين قلبــاً مُعذّبــا

٦. ومَن لي بِردّ الخلِ إذ جـدّت النــوى به وبوصل الحبل أنْ يتقضبا[٣]

٧. أ في كل حين أمتري غَرْبَ[٤] مقلة أبى الوجدُ إلا أن تجود فتغربا

٨. إذا عنَّ لي ظبي بوجرةَ[٥] شــادنٌ تذكّرتُ من عَنّى الفؤادَ وعَذّبا

٩. وأرتاح للأرواح من نحــو وتثنى عِناني للصِبا نفحةُ الصَّبا

---

١) مرى الغلام الناقة مريا: مسح ضرعها لتدر اللبن.

٢) واد من أودية الحجاز، وإنما يذكره ابن السِّيد هنا جريا علــى عــادة الشعراء المتقدمين.

٣) تقضب: أنقطع.

٤) الغرب: الدلو العظيم تتخذ من جلد الثور.

٥) اسم موضع في بلاد العرب كثير الظباء، وقد ورد ذكره في معلقة امرئ القيس.

أرضهـــا

١٠. ولولا التهابُ الشوق بين جوانحي لا مرعَ خدي بالدمـــوع وأعشبـــا

١١. ألا قاتلَ الله الهوى كيف قادني إلى مَصرَعي طوعا وقد كنت مُصعَبا[١]

١٢. وما كنتُ أخشى أن أبيتَ مُعذَّبا بعذبِ رُضابِ منْ حمى الثغرَ أشنبا

١٣. وخد أُلاقـــي دونَ شـــم رياضِهِ من اللحظِ هِنديّا وللصدغ عقربا

١٤. أجَدَّك لم تُبصـــر تألـــق بـــارق يُجِد نشاطا في ذُرى الأفق أهدبا

١٥. إذا ما بدا في الجو أحمرَ ساطعا حسبت الظلام آبنـــوساً مذهّبـــا

١٦. كأنَّ الرياضَ الحُوَّ غِبَّ سمائه تردَّين وَشيَ العبقري المُخلَّبا

١٧. كأنَّ الشقيقَ الغضَّ والفجرُ ساطع خدودٌ زهاها الحسنُ أن تتنقّبا

١٨. تمتّعْ بريعـــان الشبـــاب وظِلّهِ فلا بدَّ يوما أن يبينا ويذهبـــا

---

١) المصعب: الفحل الذي يودع من الركوب والعمل للفحلة أو الـــذي لـــم يمسسه حبل ولم يركب..

١٩. فما العيشُ إلا أن تروح مُحِبّاً براه سقمه أو مُحَبّبــــا وتغتدي

(٤)

وقال يراجع أبا محمد بن جوشن عن شعر كتب به إليه:

(من الطويل)

١. حلفتُ بثَغر قد حمَى ريقَهُ العذبا وسلّ عليه من لواحظه عَضبا

٢. وفَرحةِ لقيا أذهبت ترحة النوى وعُتبى حبيب هاجر أعقبت عَتبا

٣. لقد هزَّ عِطفي بالقريض ابنُ جوشن ســـــرورا كما هزَّت صبَا غُصُناً رَطْبا

٤. كساني ارتياحَ الراح حتى حسبتني حَليفَ بعــــاد نـــــال من حُبه قُربا

٥. وأطربني حتى دعاني الورى فتًى وقالوا كبيـــرٌ بعد كَبْــــرتِه شبّا

٦. كأنَّ المثاني والمثالثَ هيجتْ سروري ولم أسمعْ غِناء ولا ضربا

٧. فيا مُزمِعَ الترحال قل لابنِ جوشن مقال مُحِبٍّ لم يُشِب جِدَّه لعبا

٨. أ مُهدي سجاياه إليَّ وناظما لي[1] لشُّهبَ عِقداً راقني نظمُه عُجبا

٩. وما خِلتُ إهداء الشمائل ممكناً لمُهدٍ، وان الدهرَ ينتظمُ الشهبا

١٠. فهل نال عبدُ الله من سحر[2] بابل نَصيبا فأربى، أو حوى الدَّهْيَ والأربا[3]

١١. لِيَهنكَ فضلٌ حُزت من خَصلهِ المَدى ونظمُ بديع قد غدوتُ له رَبّا

---

١) في القلائد: الى، وهو تحريف.

٢) في القلائد: سر، وهو تحريف.

٣) الدهي: جودة الرأي. والأرب مثله ومنه رجل أريب. والدهي والــدهاء والدهو العقل أيضاً.

١٢. وهاك سلاما صادرا عن مودةٍ عَمَرتُ به[١] منّي الجوانح والقلبا

(٥)

قال يصف كتابا ورد عليه من محبوب كـــان هجـــره ووعـــده فيه باللقاء:

(من البسيط)

١. نفسي فداءُ كتاب حاز كلَّ مُنَى جاء الرسولُ به من عندِ محبوبِ
٢. مبشّراً أن ذاك السُّخط عاد رضا وبدلتْ منهُ من بُعـــدٍ بتقريـــبِ
٣. حَسِبتُه ناظرا نحوي بناظِرِه ومُهدياً ليَ ما في فيه من طيب
٤. ظَلِلتُ أطويهِ من وَجْد وأَنشرُهُ وكاد يُبليه تقبيلي وتقليبي
٥. كم قبلة ليَ في عُنوانه عَذُبت وبرَّدَتْ بالتلظّي حَرَّ تعذيـــب
٦. كأنَّه حين جلَّى الحزنَ عن خلَدي ''قميصُ يوسفَ في أجفان يعقوب''
٧. لو كان ما فيه من موعوده كذِبا شفَى فكيف بوعدٍ غير مكذوبِ!؟

---

١) في القلائد: بها.

(٦)

وقال:

(من الطويل)

١. أبا عامر أنت الحبيبُ إلى قلبي　　وإن كنتُ دهرا من عتابك في حربِ
٢. أَ تعرضُ حتى بالخيال لدى الكرى　　وتبخُلُ حتى بالسلامِ مع الركب؟
٣. كأنِّي أخو ذنب يجازَى بذنبِه　　وما كان لتي غيرَ المودة من ذنبِ
٤. فيا ساخِطا هل من رجوع إلى الرضا　　ويا نازحا هل من سبيل إلى القربِ
٥. ويا جنةَ الفِرْدوسِ هل يقطع العدا　　بجرالكِ[1] المختوم أو مائك العذبِ
٦. ويا بائنا بان العزاءُ ببينه..　　فأصبحتُ مسلوبَ العزيمة والقلبِ
٧. أذِقنيَ بالعُتبى جنَى النحل مُنعِما　　فإنَّك قد جرَّعتني الصاب بالعَتبِ
٨. وكنتُ أرى الهِجران أعظمَ حادث　　فقد صار عند البين من أصغر الخطب
٩. سأجعل عيدا يوم عودك يغتدي　　مُحيّاكَ فيه قِبلة الهائم الصّــبِّ
١٠. أُقيمُ لواءَ الوصل في حُلَّةِ الصِّبا　　بـــه، وأضحّي بالصبابة والكَربِ
١١. لك القلبُ، ما فيه لغيرك منزِل　　منحتُكَهُ فانزله بالسهل والرُّحبِ

---

١) الجريال: الخمر الشديدة الحمرة، وقيل: هي الحمرة، لون الخمر.

(٧)

وقال في وصف مجلس أنس[١]:

(من الكامل)

١. يا رُبَّ ليلٍ قد هتكتُ حجابه   بمُدامـــــة وقّـــــادة كالكوكـــبِ
٢. يسعَى بها أحوى الجفون كأنّها   من خدهِ ورُضاب فيـــه الأشنبِ
٣. بدران: بدر قد أمنتُ غروبَه   يسعَى ببـــــدر جانـــح للمغـــربِ
٤. فإذا نعمتَ برشفِ بدر غارب   فانعَمْ برشفة طالـــع لـــــم يغرُبِ
٥. حتى ترى زُهرَ النجوم كأنّها   حول المَجرة رَبرب[٢] في مشرَبِ
٦. والليل منحفِز[٣] يطيرُ غرابُه   والصبحَ يطردُه ببــــــاز أشهبِ

(٨)

وقال في وصف الراح:

(من الكامل)

١. سلِّ الهموم إذا نبا زمــن   بمُدامـــة صفراءَ كالذهـــبِ

---

١) نسب المقري في نفح الطيب ٧٢/٤ هذه القطعة إلى أبي الحسن علي بن السيد شقيق المترجم، مع اختلاف يسير في بعض الكلمات، مـــع أنـــه أثبتها منسوبة إلى ابن السيد نفسه في نفـــس الكتـــاب ٦٤٦/١ وبـــنفس الألفاظ.

٢) الربرب: القطيع من بقر الوحش أو من الظباء، ولا واحد له.

٣) الحفز: حث الشيء من خلفه سوقاً وغير سوق.

٢. مُزجتْ فمِنْ دُرٍّ على ذهب   طافٍ ومن حَبَبٍ على لَهَبِ
٣. وكأن ساقِيَها يثيــر شــذا   مسكٍ لدى الأقوام مُنتَهــبِ

(٩)

وقال يخاطب رسول الله (ص):

(من الوافر)

١. إليك أفِرُّ من ذُلّي وذنبــي   فأنــتَ إذا لقيــتُ الله حسبــي
٢. وزوْرةُ أحمدَ المختارِ قِدْما   مُناي وبُغيتي لو شــاء ربّــي
٣. فإن أُحرم زيارتَهُ بجســمي   فلم أُحرم زيارتهِ بقلبي
٤. فدونك يا رسولَ الله منّي   تحية مؤمــنٍ وهــدى محبّ
٥. سأجعل عروتي الوُثقى يقيني   لصحّة ما أتيت به وحبّي
٦. عسى ودٌّ ثوى لك في فؤادي   على بعد، سيوجب منك قربي
٧. شهدت بأنَّ دينك خيرُ دينٍ   بلا شكٍ وصحبَك خيرُ صَحْبِ

(١٠)

وقال يتغزل:

(من الطويل)

١. خليليَّ ما للريح أضحى نسيمُها..   يذكّرني ما قد مضى ونَسِيتُ
٢. أ بعدَ نذير الشيب إذ حلَّ عارضي   صَبَوت بأحداق المها وسُبيتُ
٣. ولي سكنٌ أغرى بي الحزنَ حسنُه   جريءٌ على قتل المحب مُقيتُ

٤. تلاحظني العينان منه[١] برحمة.. فأحيا ويقسو قلبه[٢] فأموتُ
٥. فيا قمرا أغرى بي النقص واكتسى كمالا ووافي سعده وشقيتُ
٦. وليتِ، فرقّي إذ وليتِ لهائم، سباه لَمًى كالشهد منك وليتُ[٣]
٧. وجُودي ببرْد الوصل يا جنّةَ المُنى فإنّي بِحَرّ الوجد منك صَليتُ

(١١)

وقال يجيب الكاتب أبا الحسن راشد بن عُريب وكان استدعاه إلى معاطاة قهوة وكتب إليه بذلك أبياتاً[٤]:

(من الطويل)

١. طربتَ فأطربتَ الخليلَ إلى الذي طربتَ لهُ فالنفس نحوك جانحه
٢. وكم أسكرتنا منك من غيرِ قهوة شمائلُ تغنينا عن المسك فائحه
٣. فللّهِ أيّامٌ بقربك أَسعَدت غوادٍ علينا بالسرور ورائحه
٤. فساعاتي الطُّولى لديك قصيرة وصفقةُ كفّي في التجارة رابحه

---

١) في المغرب: منها.
٢) في المغرب: قلبها.
٣) الليت: صفحة العنق.
٤) الأبيات هي:

طربت إلى شمسية قـد تروقـت فأربت على الصهباء لوناً ورائحـه
فلو أنَّ فيـهـا نقطـة هندسيـة لباتت بها في ظلمة الليـل بائحـه
فكن مسعدي يا من سجاياه لم تزل وأخلاقـه تغني عن المسك فائحـه

(١٢)

وقال في التّألّه والابتهال:

(من الطويل)

١. إلهيَ إنِّي شاكر لك حامدُ وإنِّي لساع في رضاك وجاهدُ
٢. وإنَّك مهما زلَّتِ النعلُ بالفتى على العائد التّوّاب بالعفو عائدُ
٣. تباعدتَ مجدا وادّنيت تعطُّفا وحِلما، فأنت المُدَّني المتباعدُ
٤. وما لي على شيءٍ سواك مُعَوَّلٌ إذا دهمتني المُعضلاتُ الشدائدُ
٥. أ غيرك أدعو لي إلهاً وخالقا وقد أوضح البرهانُ أنِّك واحدُ
٦. وقِدما دعا قومٌ سواك فلم يقُم على ذاك برهان ولا لاح شاهدُ
٧. وبالفلك الدوّار قد ضلَّ معشرٌ وللنيّرات السبع داعٍ وساجدُ
٨. وللعقل عُبّاد وللنفس شيعة وكلُّهم عن منهج الحق حائدُ
٩. وكيف يَضِلُّ القصدَ ذو العلم والنُّهى ونهجَ الهدى[١] من كان نحوك قاصدُ؟
١٠. وهل في التي[٢] طاعوا لها وتعبّدوا لأمرك عاص أو لحقّك جاحدُ؟
١١. وهل يوجد المعلول من غير علّة إذا صحَّ فِكر أو رأى الرشدَ راشدُ؟
١٢. وهل غبت عن شيء فينكِرَ منكرٌ وجودَك أم لم تبدُ منك الشواهدُ؟
١٣. وفي كل معبود سواك دلائلُ من الصنع تنبي[٣] أنَّه لك عابدُ
١٤. وكلُّ وجودٍ عن وجودك كائن فواجدُ أصناف الورى لك واجدُ
١٥. سرت منك فيها وحدةٌ لو منعتَها لأصبحتِ الأشياءُ وهي بوائـــدُ

---

١) كذا، ولعلها: (إن)، ويلاحظ أن في قافية البيت إقواء، فموضـــع قاصـــد النصب بـــ (كان).

٢) في القلائد: الذي . . . له.

٣) في القلائد: تبدي.

١٦. وكم لك في خلق الورى من دلائل	يراها الفتى فـــي نفســـه ويشاهـــدُ
١٧. كفى مكذبا للجاحديك[1] نفوسهم	تخاصمهـــم إن أنكـــروا وتعانـــــدُ

(١٣)

وقال في محنةِ مرضٍ ألَمَّ به في أُخريات عمره ببلنسية:

١. وددتُ وهل يُعطى امرؤ ما يودّه	لو أنّ زمـــاناً فانيـــاً يستردّهُ
٢. لأَمحوَ أحراساً ملئن من الخنا	ليليَ قلبي غائـــبٌ عنه رُشـــدَهُ
٣. وما ذاك حُبًّا بالحياة وإنّنـــي	إلى منهلٍ حتم على الخلقِ وردُهُ
٤. ولكنَّ نفسَ المرءِ تُخدَعُ بالمُنى	وإن لم يكن فيها فتيـــلٌ يَـــردّهُ

(١٤)

وقال يمدح ابن رزين[2]:

(من الطويل)

١. عسى عطفةٌ ممّن جفاني يُعيدُها	فتُقضَى لباناتي ويدنو بعيدُها
٢. فقـــد تُعتِبُ الأيَّـــام بعد عتابها	ويُمحَى بوصل الغانيات صدودها
٣. وكم للصِّبا عندي يدٌ لستُ جاحدا	لها إنَّ كفران الإيادي جحودُها
٤. ليالي أسرِي فـــي ليالي غدائر	كواكبها حَلْيُ المها وخدودها

---

١) في القلائد: للجاحدين.

٢) عبد الملك بن هذيل بن عبد الملك بن رزين صاحب السهلة ورئيس دولة بني رزين وعاصمة ملكه شنتمرية، حكم ستين عاماً وتوفـــــي ســـنة ٤٩٦هـــ.

٥. وأهصر أغصان القدود فتنثني | عليَّ برُمّان النحور نهودها
٦. فللّه ليلٌ بت فيه كأنني | بوجرة أغتال المها وأصيدها
٧. أُبيح ثغورا كالثغور ودونها | أسنّةُ ألحاظِ قناها قدودها
٨. تشابه منها ما حوته مباسمٌ | عِذابٌ ولَبّاتٌ يروق فريدها
٩. فإن تكُ من تلك العقود ثغورُها | وإلا فمن تلك الثغور عقودُها
١٠. وحمراءَ حلاها المزاجُ فخلتها | عقيلة خدرٍ زينَ بالدّرّ جيدُها
١١. بدت في دلاصٍ[1] من حَباب وأشرعت وأشرعت | سنانَ انسكابٍ والكؤوس جنودها
١٢. فما برحت حتى كأن شروبَها | من السكر صرعى أنعستها حدودها
١٣. ترى شَرْبَها جنحَ الظلام كأنّهم | بها مصطلو نارٍ يُشَبُّ وَقودها
١٤. إذا أنكحوا من فضّة الماء تبرَها | أتى اللؤلؤُ المكنونُ وهو وليدها
١٥. كما أنكحوا البدر استقامت سعوده | (هذيلا)[2] من الشمس استقامت سعودها
١٦. فجاءا بعبد الملك للملك كوكبا | ليحمي سماءَ المجد ممّن يكيدها
١٧. رمى جنةَ الأعداء لمّا سموا لها | بشهب القنا حتى استشاط مَريدها
١٨. حلفت بعَليا عابد المَلك ذي اللُها[3] | وأيدٍ له كالقطر جمّ عديدُها
١٩. لئن كان قد أبلت (هذيلاً) يدُ الرّدى | فإنّ عُلاه ليس يبلى جديدها
٢٠. وإن رفعت كفّاه قبّة مَفْخرٍ | فإنّ قنا عبد المليك عمودها
٢١. فتى أحرز العليا وحازمدى الندى | فما إنْ له من رتبة يستزيدها
٢٢. سرى بارق من بِشرِهِ غيرُ خُلَّبٍ | إلى أرض آمالي فأورق عودها

---

١) الدلاص من الدروع: اللينة، ودرع دلاص: براقة ملساء لينة.

٢) هذيل: هو والد الممدوح وهو الذي أسس دولة بني رزين.

٣) اللها: جمع لهوة ولهية وهي العطية. وقيل: أفضل العطايا وأجزلها، وهي في الأصل ما يلقى في فم الرحى من الحبوب للطحن.

٢٣. وبوأني من مجده في مكانةٍ		سعودُ النجوم الزاهرات صعيدها
٢٤. فيَأيّها المولى الذي أنا عبده		وقِدماً رجا طَوْلَ الموالي عبيدُها
٢٥. أَصِخْ نحو حرّ الشعر من عبد أنعُمٍ		بدائعُه مازال منك يفيدُها
٢٦. قوافٍ تروقُ السامعين كأنَّما		تُحلّي سجاياك الحسانَ قصيدُها
٢٧. حبتك العلى حقّاً بمثنى رياسة		بها اعترفت ساداتُها ومسودها
٢٨. ولولاك أضحت أرضُ (شَنْتَمَريّةٍ)		مناخَ خطوبٍ لا يُنادَى وليدها
٢٩. وما زلتَ يقظانَ الجفون لرعيها		إذا أعين الأملاك طال هجودها
٣٠. تكفّ الأذى عن أهلها وتحوطها		وتبدي الأيادي فيهم وتعيدها

(١٥)

وقال:

(من الطويل)

١. أَ إخواننا لِمْ غيّرَ الدهرُ عهدكُم		فصرتم لنا بعد الإخاءِ أعاديا؟
٢. وحاولتمْ قتلي على غير ريبةٍ		سوى فرطِ أشواقي ومحضِ ودادَيا
٣. أَ لم أُصفِكمْ ودّي على القرب والنوى		وملّكتُكم دون الأنام قياديا
٤. فؤادي أسيرٌ، لا يُفك لديكُم		فيا ليت جسمي حيث أضحى فؤاديا

(١٦)

وقال يصف مجلس القادر بالله بن ذي النون[١] بطُلَيطِلَة:

(من المنسرح)

١. يا منظراً إن رمقت بهجته	أذكَرَني حسن[٢] جَنَّةِ الخُلدِ
٢. تربةُ مسكٍ وجوٌّ عَنْبرةٍ	وغيمُ نَدٍّ وطشٌّ[٣] ما ورْدِ
٣. والماء كاللازَوَرْدِ قد نَظَمَت	فيه اللآلي فواغرُ الأُسد
٤. كأنَّما جائلُ الحَبابِ به	يلعبُ في حافتَيه[٤] بالنّرْدِ
٥. تراه يُزهَى[٥] إذا يَحِلُّ به الـ	قادرُ زَهْوَ الكَعابِ[٦] بالعِقْدِ[٧]
٦. تخاله إن بدا به قمرا	تَمًّا بدا في مطالع السعدِ
٧. كأنَّما أُلبِستْ حدائقُه	ما حاز من شِيمة ومن مجدٍ
٨. كأنَّما جادها فروَّضها	بِوابلٍ من يمينه رَغْدِ

---

١) هو يحيى بن إسماعيل بن المأمون بن ذي النون، والقادر لقبه، وكان ملكاً على طليطلة عاصمة مملكة بني ذي النون، وكان سيء الرأي اضطربت حوله الفتن حتى فرّ من مملكته والتجأ إلى ألفونس يستعين به على إعادته إلى ملكه فأعانه.

٢) في القلائد والنفح والبدائع: نظرت ... حسنه.

٣) في البدائع: وطل.

٤) في القلائد: جانبيه.

٥) في النفح: يزهو.

٦) في النفح والبدائع: المأمون زهو الفتاة.

٧) سقط البيت من القلائد.

٩. لا زالَ في عزة[١] مُضـــاعفةٍ   مُيــمَّم الرِّفــدِ واريَ الزّنـــدِ

(١٧)

وقال يجيب شاعرا قرطبيّاً مدحه:

(من البسيط)

١. قل للَّذي غاص في بحر من الفِكَر   بذهنه، فحوَى مــا شــاء من دُرَر

٢. لله عذراءُ زُفتْ منك رائحةً   تختال من حِبْرها المرقوم في حبَر[٢]

٣. صَداقُها الصدقُ من وُدي ومنزلها   بصيرتي وسوادُ القلب لا بصري

٤. كأنما خامــرتني من بَشاشَــتها   راحٌ وسُكــر بــلا راحٍ ولا سُكُــر

٥. هَزّت بدائــعُها عِطفيَّ من طَرَب   لحسنــها هـزةَ المشغوف للذّكر[٣]

للذّكر[٣]

٦. ماكنت أحسِبُ أن النيّرات غدَتْ   يصيــدها شــركُ الأوهــام والفِكَر

٧. ولا توهَّمتُ أيــامَ الربيع تُــرى   فــي ناجر[٤] غضّةَ الأنوار والزهَر

والزهَر

٨. أمّا الجزاءُ فشيءٌ لستُ مدركَــه   ولــو بَــدرْتُ إلى التوجيه بالبِدَر[١]

بالبِدَر[١]

---

١) في النفح: رفعة.

٢) الحِبَر والحِبَرات: جمع حِبْرة وحَبْرة؛ وهي ضرب مــن بــرود الــيمن منمر. والحِبْر: الوشي.

٣) في القلائد: بالذكر.

٤) في القلائد: ناضر، وهو تحريف، وناجر: هو كل شهر في صميم الحرّ.

٩. لكن جزائي صفاءُ الود أضمِـــرُه   إذا القلـــوبُ انطوت منه علـــى كَدَرِ
١٠. جاراك ذِهنيَ في مِضمارها فَكَبَا   ذِهني، وفزتَ بخصْلِ السبق والظفَرِ
١١. وهل بَطَلْيوسُ في نظمٍ مناظِرةٌ   يومـــاً لقُرطبـــةٍ في حُكم ذي نَظَرِ

(١٨)

وقال في علم الله للجزيئات:

(من مخلع البسيط)

١. يا واصفا ربه بجهل   لم يقدرِ اللهَ حق قدرهْ
٢. كيف يفوت الإلهَ علم   بسرّ مخلوقه وجهرهْ
٣. وهو محيطٌ بكل شيءٍ   و كلّه كائنٌ بأمـــرِهْ

(١٩)

وقال يصف مجلس الظافر عبد الـــرحمن بـــن عبيـــد الله بـــن ذي النون[٢]:

(من الرجز)

١. ومجلس جمّ الملاهـــي أزهـــرا
٢. ألذ في الأجفان من طعم الكرى
٣. لم ترَ عينِي مثلَـــه، ولا تـــرى

---

١) البدر: جمع بدرة؛ كيس فيه ألف أو عشرة آلاف.
٢) مرت ترجمته .في المقدمة.

٤. أنفسَ في نفسٍ وأبْهَى منــظَرا

٥. إذا تــرَدَّى وشيَــهُ المُصَــورا

٦. من حَوْكِ صنعاءَ وحوك عَبْقَرا

٧. ونسج قرقوب ونسج تُستــرا(١)

٨. خِلتَ الربيعِ الطلقَ فيــه نــوَّرَا

٩. كأنَّما الإبريــق حيــن قَرقَــرا

١٠. قد أمَّ لثــمَ الكأسِ حيــن فغَرا

١١. وحشيــةٌ ظلت تناغي جُؤذرا

١٢. تُــرضِعُهُ الدَّرَّ ويرنــو حَذَرا

١٣. كأنَّـــما مجَّ عقيــقا أحمــرا

١٤. أو فَتَّ من ريَّاه مسكاً أذفــرا

١٥. أو عابدُ الرحمن يوما ذُكِــرا

١٦. فنــمَّ مسكاً ذكــرَه وعَنْبَــرَا

١٧. الظافــرُ الملَكُ الذي مَنْ ظفِرا

١٨. بقربه نــال العَلاء الأكبـــرا

١٩. لو أن كسرى راءَه أو قيصرا

٢٠. هلَّلَ إكبــارا لــه وكبَّـــرا

٢١. تُبدِي سماءُ المُلك منه قمــرا

---

١) قرقوب: قرية من أعمال تستر، وتستر مدينة بخوزستان.

٢٢. إذا حجابُ المجْد عنه سَـــفَرا

٢٣. يأيُّها المنضي المطايا بالسرى

٢٤. تبغي غمام المكرمات الممطرا

(٢٠)

وقال يرثي الوزير أبا عبد الملك بن عبد العزيز:

(من الطويل)

١. فؤاد قريحٌ قد جفــاه اصطِبـارُهُ ودمعي أبــتْ إلا انسكابــا غِزارُهُ
٢. يُسَرُّ الفتى بالعيش، وهو مبيده، ويــغتر بالدنيــا، ومــا هي داره
٣. وفي عبــر الأيّام للمرء واعــظ إذا صــح فيــها فكــرُه واعتباره
٤. فلا تحسبَن يا غافلُ الدَّهرَ صامتا فأفصـــحُ شـــيءٍ ليـلُه ونـــهارُه
٥. أصـــخ لمنــاجاة الزمان فإنَّـــه سيغنيك عن جهــر المقال سراره
٦. أدار على الماضين كأسا فكلُّهم أُبيــحت مغانيــه وأقــوتَ دياره
٧. ولم يحمهم من أن يُسقَوا بكأسهم تنـــاوشُ أطراف القنـــا واشتجاره
٨. وغالت أبا عبد المليك صروفُه وقـــد كان دهــرا لايباح ذماره
٩. فأصبح مجفوا وقد كان واصلاً وأمســى قَصيّــا وهو دانٍ مزارُه
١٠. ولم أنس إذ أودى الحِمام بنفسه فلـم يبـــق إلا فعلُـــه وادكاره
١١. إذا رقأت عيني استهلّت شؤونها لمأتَــمِ حــزن قــد أرن صُواره[١]
١٢. تجاوب هذي تلك عند بكائها كترجيع شَوْلٍ حين حنَّت عشاره[٢]
١٣. كأن لم يكن كالمزن يرهَبُ صعقَه عــدوٌ ويُرجى في المحول انهماره
١٤. أما وعُلى مروان إن مُصابَه أثــار أسًى تذكى على القلب ناره
١٥. فلا شُربَ إلا قد تكدر صفوهُ ولا نــومَ إلا قــد تجــافى غِراره

---

١) الصوار: بضم الصاد وكسرها؛ القطيع من البقر، والجمع صيران.

٢) الشَّوْل: جمع شائلة، وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجفّ لبنها. والعشار: جمع عشراء وهـي التـي مضـى لحماها عشرة أشهر أو هي التي وضعت حديثاً.

١٦. فأيُّ حيا للفضل أجلى غمامــه ونظمٍ من العَليــاء حان انتثــاره
١٧. خوى المجدُ من مَرْوان وانهدَّ طودُه وجدَّ بمجد المكرُمات عثــاره
١٨. وما خِلت أن الصبحَ يُشرِقُ بعدَه لِعَيْنٍ وأنَّ الروض يبقى اخضراره
١٩. فيا طودَ عزٍّ زَلزَل الأرض هَدُّهُ وبدرَ عُلا راعَ الأنــامَ انــكداره
٢٠. هنيئاً للَحْد ضم شِلْوَكَ أن غدا عميدُ الندى والمجد فيه قراره
٢١. ولم أرَ دُرّا قطُّ أصدافه الثرى ولا بدرَ تمٍّ في التراب مغاره
٢٢. عزاءً بني عبد العزيز، وإن خلا من المجد مغناه وهُدَّ منارُه
٢٣. ففيكم لهذا الصدع آس وجابرٌ وإن كان صعباً أسْوُهُ وانجبارُهُ
٢٤. لكم شرف أرسَى قواعدَ بيتِه أبو بكر الساري إليكم نجاره
٢٥. أجلُّ وزير عطَّرَ الأرض ذكرُه وأخجلَ زُهرَ النيّرات فخارُهُ
٢٦. فلو كان للعلياءِ جيدٌ ومِعصَمٌ لأصبح منكم عِقدُه وسِوارُه

(٢١)

وقال يراجع بعــض أصــدقائه وكــان كتــب إليــه أبياتــاً[١]:

(من الطويل)

١. لعمري لقد شرفتَ وُدّي بثلبه وصيَّرتَ لي فضلاً عليك ومَفْخَرا
٢. صدقتَ: ودادُ الوردِ رَطْباً ويابسا وماءً إذا عصرُ الأزاهر أدبَرا

---

١) الأبيات هي:

ودادكــم كالورد ليــس بدائــم ولا خير فيمن لا يدوم له عهد
وودي لكم كالآس حسنا وبهجة له خضرة تبقى إذا ذهب الورد

ويذكر أن حديث الورد والآس ورد في شعر ابن زيدون أيضاً.

وودُّك مثــلُ الآس ليــس بنــافــع ولا نـــافحٍ إلا إذا كان أخضـــرا
أ لم ترَ أن الــورْدَ يكـــرُم إن ذوى ويُــطرح في الميضاةِ آسٌ تغيَّرا
أ فضلتَ عبدَ السوءِ جهلا على الذي غدا في الأزاهير الأمير المؤمَّرا

(٢٢)

وقال يمدح الظافر عبد الرحمن بن عبيد الله بن ذي النون:

(من الطويل)

١. لعلّكمُ بعد التجنّبِ و الهَجْرِ تُديلونَ من بُعد وتَشفُونَ من ضُر
٢. فإن الذي غادرتــمُ بيــن أضلعــي يزيد على مَــرّ الزمـــان ويستشري
٣. ولم تُنبكم عني النوى غيــرَ أنــكم رحلتم من الجفن القريـــح إلى الفِكر
٤. و من عجب أنّــي أُسائــلُ عنــكم ومنزلكم بين الجوانــح والصـــدر
٥. و أستعطف الأيــام فيـــكم لعلّهــا تُعيــد الليالي السابقاتِ كمــا أدري
٦. وأطمَعُ منها في الوصال ولــم أزَل عليما بما يؤثِرنَ من شِيَم الغَــدْرِ
٧. ويوحِشُني حُســنُ الزمـــان لنأيــكم وإن كنت مأنوسَ الجوانح بالذكــر
٨. ولم أنس إذ صدتْ كما صــد شـــادنٌ غريرٌ من الربعي أوجس من ذعر
٩. تميس كما ماس القضيب على النــقا وترنو كما أغضى الشريفُ[1] من السكر
١٠. وما زلت صبّا بالغوانـــي تصيدنـــي ذواتُ الثنايــا الغُرّ والأوجه الزهــر
١١. وعنـــديَ أحشـــاءٌ مُلئــن صبابــة كألحاظ أجفان مُلئن مــن السحــر

---

١) كذا في الأصل، ولعلّها: الشّريب، وهي تجانس القضيب في صدر البيت..

١٢. ولوعة وجـد مـا تُفيـقُ وظمـأة لأشـنبَ معسول اللَّمى طيّبِ النشـرِ
١٣. وكم في كِناس السمهريّة مـن رَشا أغنَّ يقيـم العذرَ في الخَلع للعُـذرِ
١٤. وأهيفَ يثنيه النسـيم إذا جَـرى فلو شاء من لينٍ تختـم في الخصرِ
١٥. وساحرة الألفـاظ لو أنـها دعـت بنغمتـها ميتا للبَّـى مـن القبـرِ
١٦. حسَرتُ قناعَ الستر فيها ولـم يكن يطيب الهوى يوما لمن دان بالستر
١٧. ولله ليـل باللـوى أبعـدَ الجَـوَى وقرَّب نحرا من مَشُـوق إلى نَـحْرِ
١٨. فما شئتُ من شكوى أرق من الهوى وما شئتُ من نجوى ألذَّ من الخمر
١٩. سرَتْ لم تمسَّ الطيبَ عُجْبا بحُسنِها وقد أفْعَمَتْ عُرضَ البَسيطة بالعطـرِ
٢٠. فقلت: عبيد الله أو نجلـه سـرى فذكّرني داريـن[١] أو بت بالشحر[٢]
٢١. كأنَّ ضياءَ الصبح في الليل إذ سرى بصيرةُ إيمان سرت في عَمَى كفـرِ
٢٢. كأن مهاً في الأفق ريعت وقد بـدا لها ذنـبُ السرحان من وَضَح الفجر
٢٣. كأن سنى الشمس المنيرة إذ بـدا كسا ورقَ الإصباح ذوبـا من التبر
٢٤. وإلا فوجه الظافـر الملِك انجلـى فجلّى ظلام النقع في الجَحْفَلِ المَجر[٣]
٢٥. عجبـت لأيّـام تداعت خطوبُـها لتثلِمَ من غَربي[٤] وتقدح في وفري[٥]
٢٦. ولم تدر أنّي في حمى الظافر الرضا أردُّ العدى عنّي بصَمْصامَتَـي عَمْرِو

---

١) دارين: اسم فرضة بالبحرين ينسب إليها المسك.
٢) الشحر: ساحل اليمن على البحر الجنوبيّ، وشحر عُمان: ساحل البحـر بين عُمان وعدن.
٣) المجر: العظيم المجتمع.
٤) الغرب: حد كل شيء.
٥) يقال: وفره عرضه؛ ووفره له: لم يشتمه كأنه أبقاه له كثيراً طيبـاً لـم ينقصه بشتم.

٢٧. حللــت جنابــا منــه مــدّ ظِلالَــه … عليّ و أعطاني أمانا من الدهـــر
٢٨. جنـــاب بكت فيـــه غمائـــمُ جـــوده … فأضحكن روض المجد عن زَهَرِ الشكر
٢٩. وكـــم نلتُ مـــذ أصبحتُ ألثم كفَّـــهُ … بيُمناه من يُمنٍ ويُسراه من يُســـر
٣٠. لدى ملِك مـــا لاح ضـــوءُ جبينـــه … بجنح الدجَى إلا كفى مطلَعَ البَـــدْرِ
٣١. ومتَّقدِ الآراء لو جال فـــي الوَغـــى … بخاطـــره أغنَى عن البيض والسمر
٣٢. ولولا اضطرام البأس فيه غدا القنا … براحته يهتـــزُّ بـــالورَق الخُضـــر
٣٣. أرى عابدَ الرحمن رحمةَ من قست … عليه الليالي أمنَ مَنْ ريـــع بالفقـــر
٣٤. وكعبـــةَ آمالٍ كثيـــرا حجيجُـــها … لـــها حَـــرمٌ فيه مشاعـــرُ للشـــعر
٣٥. لـــه من حجاه بالســـماحـــة آمـــرٌ … ومـــن حلمِـــهِ ناهٍ عن اللغو والهُجر
٣٦. فتًى لـــم يشمّـــر قطُّ إلا عنـــا لـــهُ … عداه و ساقُ الحرب مُسبَلـــةُ الأُزر
٣٧. ولم يعترك بُخلٌ بميـــدان عدلـــــه … وجَدواه إلا فاز جَدواه بـــالنصـــر
٣٨. أبا عامرٍ لا زلت للمـــجد عامـــرا … فإنَّك وُسطَى العقد في عُنُق الفخر
٣٩. وقَمت[١] العدا عنّي برأفة مـــاجـــد … وغمرِ نـــوالٍ سرَّ إذ ساءَ ذا الغَمْـــرِ
٤٠. وأوسعت نُعْمَى ضِقتُ ذرعا بحملها … فإن خففت عمري لقد أثقلت ظهري
٤١. ولمّا ارتقت بي في سمائك همّتـــي … غدا أخمَصي فوق النعائم[٢] والنسْرِ
٤٢. فحيّيْتُ شمس المُلك في فَلَك العلا … وشِمتُ[٣] سحابَ الجودِ في بارق البشر
٤٣. أ يرجو ضلالا أن يُناويك حاسدٌ … وقد حُزتَ خصل السبق وهو على الأثر
٤٤. وأرسى عبيدُ الله بيتـــك في العُـــلا … و طنَّبَـــهُ بين السّماكين والغَفْـــرِ[١]

---

١) وقم الرجل: أذله وقهره، رده أقبح الرد، جذب عنان الدابة لتكفّ.

٢) النعام والنعائم من منازل القمر ثمانية كواكب.

٣) شام السحاب والبرق شيماً: نظر إليه أين يقصد وأين يمطر. وشام النار: نظر إليها.

٤٥. وأصبحت كالمأمون تقفو سبيلَه — كأنك موسى تقتفـــي أثر الخضـــرِ
٤٦. وما عِلتَ صبرا[٢] حين قلّدك العُلا — و جاء بأمر مـــن بدائـــعه أمـــري
٤٧. فللّه ما شادوا وشدت مـــن العُـــلا — ولله ما حازوا وما حُزتَ مـــن ذكر
٤٨. نظمت شتيت المُلك بالعدل والتّـــقُى — وقمـــت بحق الله في السرّ والجهر
٤٩. وجاءك صوم إثرَ فِطـــرٍ قَضيَتْـــهُ — بحظيـــن من سعدٍ جزيلٍ ومن أجـــر
٥٠. وأدبرَ سقمٌ عنـــك بشـــرًّ جسمَه — بأقبال نُعمَى واتصـــال مـــن العُمـــر
٥١. سيملأ شكري كل قُطـــرٍ تَحُلُّـــهُ — بنشـــر ثنـــاءٍ عنك أذكى من العِطر
٥٢. وتبقى لكم بيـــن الضـــلوع محبّـــةٌ — ألاقِي بها الرحمن في موقِف الحشر

(٢٣)

وقال يصف طول الليل:

(من الطويل)

١. تُرى ليلُنا شابت نواصيه كَبْرَةً — كما شبتُ أم في الجوّ روضُ بَهارِ
٢. كأن الليالي السبع في الأفق[٣] جُمّعت — ولا فضـــلَ فيـــما بينها لنهارِ[٤]

(٢٤)

وقال:

(من الكامل)

---

١) الغفر: منزل من منازل القمر. ثلاثة أنجم صغار؛ وهي من الميزان.
٢) عيل صبره: نفد.
٣) في الوفيات: الجو، وفي نسخة: النجوم مكان الليالي ٣/٩٧.
٤) في القلائد: بنهار.

١. طيفٌ سَرَى من خاطر القلبِ الذوي[1]   فوفــى لنـــا بعِداتِه وقضى الوطَرْ
٢. بذَّ[2] الكَرَى عن ناظر الصبِّ الجوِي   وشفى الضنى بهباته ومضى حَذِرْ

(٢٥)

وقال معزيا ذا الوزارتين أبا عيسى بن لبّون في أخيه:

(من الكامل)

١. للمــرءِ فــي أيّـامــه عِبَــرُ   والصـــفوُ يَحـدُثُ بعـــده كـدر
٢. خَرَسُ الزمــــان لمــن تأمّـــله   نُطــقٌ وخُبْــرُ صـــروفه خَبَـــرُ
٣. نــادى فأســمع لــو وعــت أذنٌ   و أرى العواقــبَ لــو رأى بصــرُ
٤. كــم قال هُبّــوا طالــما هجعت   منــكم عيــونٌ حقّــها السَّـــــهَرُ
٥. أ بإذن من هو مُبصِــري صَــمَمٌ   أم قلـــبُ مـــن هـــو سـامعي حَجَرُ
٦. لولا عمــاكــم عــن هُدَى نُذُري   و مواعظـــي مـــا جـاءت النـــذُرُ
٧. هذي مصـــارعُ معشــرٍ هَلَكــوا   وَ عَظتــكُم بالصـــمت[3] فاعتبروا
٨. قالت أرى ليــلَ الشبــاب بــدت   للشـــيــب فيـــــه أنجـمٌ زُهْـــرُ
٩. فأجبتـــــها لا تكثــــري عجبــاً   مـــن شيبـــــةٍ لــم يجنِـها كِبَــرُ
١٠. لكن طويت من الهمــوم لظًّــى   أضحى لــها فــي عارضــي شَرَرُ
١١. حسُــنَت شمائــلكُم وأوجُهــكم   فتطابــقا مــرأًى ومُختَــبَــــرُ[4]
١٢. والحسن في صُوَرِ النفوس وإن   راقتــك مــن أجســامها الصُّــورَ

---

١) الذوي بوزن حذر من ذوى أي ذبل..
٢) بذ الشيء: أي فاقه وغلبه.
٣) في القلائد: بالعتب.
٤) الذي يظهر أن في القافية إقواء، فحق (مختبر) النصب عطفاً على مرأى وهو تمييز.

١٣. لا ضَعضَعت أيدي الخطوب لكم ركْنــــا ولا راعتـــــكم الغِيَـــــــــرُ

(٢٦)

وكتب إلى ذي الوزارتين أبي عيسى بن لَبُّون:

(من الكامل)

١. قم نصطبح من قهوة بكــر حتى نُرى صَرْعَى من السُّكْرِ[(١)]
٢. أُنُفٍ[(٢)] تناساها الورى حتّى لــم تجر فــي بــالٍ ولا ذِكــرِ
٣. فترى الدِّنانِ وما حوت منها كجوانــح طُوِيَــت علــى فِكرِ
٤. نَفَحَتْ فقُلْتُ المِسكُ أو ما قد أحيــا أبــو عيســى من الذكر
٥. لا شيءَ يحكي طِيبــها إلا شِيَــمٌ عذابٌ منــه أو شــكري
٦. ما زلت أخبُرُ من محاســنه قِدْمَــاً بعُــرفٍ ليــس بالنُّكــرِ
٧. وأحِنُّ نحــو لقائــه طربــا كالطَّيــر إذ جَنّــت إلــى وكْرِ
٨. فالآنَ شاهدتُ الذي يحكــى ولقِيــتُ فيــه الفَضْــلَ للشُّــكر

(٢٧)

وقال يصف تينا أسود مُكَتَّباً:

(من الكامل)

١. أهلا بتينٍ كالنهود حوالــكٍ ضمّخن مسكاً شيب بالكافورِ
٢. وكأنَّ ما زُرَّت عليه جيوبُها شـــهدٌ يُشابُ بسمسمٍ مقشورِ

---

١) يلاحظ أن أعاريض القطعة كلها حذاء مضمرة باستثناء البيتــين (٦،٧) وضروبها حذاء مضمرة ولا يكون ذلك إلا في المصاريع.

٢) روضة أنف: لم يرعها أحد. وكأس أنف: ملأى. والأنف: الخمر التي لم يستخرج من دنّها شيء قبلها.

٣. وكأنّما لبِست لُجَينا مُحرَقـا   فيـه بقايا من بياض سطور

(٢٨)

وقال في الزهد:

(من الطويل)

١. تجوهُرك الأدنى عُنيت بحفظه   وضيّعتَ من جهلٍ تجوهرَك الأقصى
٢. لقد بعتَ ما يبقى بما هو هالكٌ   وآثرتَ لو تدري على فضلِك النقصا

(٢٩)

وله في النسيب:

(من الطويل)

١. أيا ممرضاً جسمي بأجفانِه المرضى   سلبتَ الكرى عنّي فهَب منه لي البعضا
٢. ليَهْنِكَ غمضُ العين عمّن تركتَه   سميرَ نجوم الليـل ما يَطعَم الغمضا
٣. أ تسخط من ذلّي لعزّك فـي الهوى   و أرضى بخدّي أن يكون لكم أرضا
٤. قضى اللهُ أن أشقى وغيري بوصلِكم   سعيدٌ ومن يسطيع ردّا لما يُقضى

(٣٠)

وله من قصيدة يمدح بها ذا الوزارتين أبا محمد بن الفرج:

(من الخفيف)

١. نبِّه الليلَ بالوجيف[1] ولا تو   لـع بـدار الهَـوان بالإغمـاض

---

١) الوجيف: السير السريع.

٢. واقرِ ضيفَ الهموم كلَّ أمونٍ عَنتَريس و بازلٍ شرواضِ[١]
٣. أنقذتني من الردى وطأتي البيـــدَ ونقضُ الهمـــومِ بالانـــقاضِ[٢]
٤. شكلها كالقسيّ وهي ســـهامٌ للفـــلا والرغـــاءُ كالإنبــــاضِ[٣]
٥. خلتها حين خاضت الليل سبحاً غُمِست من دجاه في خضخاضِ[٤]
٦. صدعت عرمض[٥]الدياجر[٦]حتى كرعت في ماء الصباح المفاض
٧. حين راع الظلامَ وخطُ مشـــيب قد ســـرى فـــي ســـواده ببيـــاض

(٣١)

وقال يمدح بعض الأعيان[٧]:

(من الطويل)

١. أما إنَّه لو لا الدموع الهوامعُ لما بان منّـــي مـــا تُجِنُّ الأضـــالعُ
٢. وكم هتكت سترَ الهوى أعينُ المها وهاجت لـــي الشوقَ الديارُ البلاقعُ
٣. خليليّ ما لي كلّما لاح بـــارقٌ تلظّى الحشا وارفضَّ منّي المدامعُ

---

١) الأمون: الناقة القوية على السير. العنتريس: الناقة الغليظـــة الوثيقـــة. الشرواض: الرخو الضخم.
٢) الانقاض: حث الدابة على السير.
٣) الانباض: رنين القوس عند جذب وترها.
٤) الخضخاض: ضرب من النفط أسود رقيق، تهنأ به الإبل الجرب.
٥) العرمض: الطحلب يكون على الماء أو الخضرة على الماء.
٦) في القلائد: الدياجي.
٧) لعله الفقيه أبو بكر محمد بن الحديدي وزير المأمون بـــن ذي النـــون، وكان يتولى النظر في المظالم لدى المأمون. وقد قتل سنة ٤٦٨هـــ في قصر القادر حفيد المأمون.

٤. هل الأفقُ في جنبيَّ بالبرق لامعٌ أم المزنُ في جفنــيّ بالودق دامعُ
٥. ففي القلب من نار الشجون مصايفٌ وفي الخدّ من ماء الشؤون مرابعُ
٦. وما هاج هذا الشوق إلا مُهَفْهَفٌ هو البدرُ أو بدرُ الدجى منه طالعُ
٧. إذا غاب يوما فالقلوب مغاربٌ وإن لاح يوماً فالجيوب مطالــعُ
٨. يضرِّج خديه الحياءُ كأنّـــما بخدّيه مــن فتــك الجفون وقائــعُ
٩. رماني عن قوس المحاجر لحظُه بسهم غدا من مُهجتي وهو وادعُ
١٠. وما زلتُ من ألحاظه متوقّياً و لكنَّه ما حُــمَّ لا بــد واقــــعُ
١١. يرقُّ فتور اللحظ منـــه كأنّــَه إلى قلبه من قسوة الهجر شافــعُ
١٢. كما رقَّ بالآداب طبع محمّـــدٍ فحاكت لمى الأحباب منه الطبائعُ
١٣. رخيمُ حواشي الطرف حلوٌ كأنَّما سجاياه أيّــام السرور الرواجعُ
١٤. أبا بكر استوفيت زُهرَ محاسن تنافسها زُهــرُ النجوم الطوالــعُ
١٥. قدحتُ زناداً من ذكائك لم يزل ينيــر فتعشى البارقات اللوامعُ
١٦. وما ذاك عن نيلٍ لديك رجوته فيصـــدِّقَ ظــنٌ أو يكــذّبَ طامــع
١٧. ولا أنا ممّن يرتضي الشعر خطَةً فتجذبه نحو الملوك المطامــعُ
١٨. ولكنَّ قلباً بين جنبيَّ قد غدا يجاذبني فيك الهوى وينـــازعُ
١٩. طوى لك من محض الوداد كمائنا تبدَّت لها فوق اللســان طلائــعُ
٢٠. أ أزعُم في نظم البديع ولم يزل لك السبق فيــه والورى لك تابعُ
٢١. وأيٌّ مقالٍ لي وقولُك سائــرُ وأيٌّ بديـــــع لي ومنك البدائــعُ

(٣٢)

وكتب إلى الكاتب أبي الحسن راشـد يسـتدعيه إلـى مجلـس شراب:

(من الرجز)

١. عندي مشكودٌ[١] من الخَمر عَبِق فيـه مُنـى مُصطَبِحٍ ومُغتَبِـق

٣. يحكي شذا المسك إذا المسك فُتِق كأنَّـه من خُلقِكَ الحُلـو خُلِـق

٥. كأنّـما كؤوسـه تحت الغسـق في راحة الساقي نجومٌ تأتلـق

٧. تخالها وهـي تلظّـى كالحَـرَق أحشاءَ صبٍّ ملئت من الحُرَق

٩. ترى لدى المزج إذا الماء اندفـق فيـها حباباً لاح كالدر النسـق

١١. وأنت أُنسي والمفدّى بالحَـدَق فاطلع طلوع القمر التمّ اتّسـق

١٣. في يومنا هذا إذا الظهر نطـق يا راشدا إذا دجى الغيّ غسـق

١٥. وماجدا قد حاز في السّبْق السَّبَق لله معنًى طابق اسما لك حق

١٧. توافقا فيك إذا الاسـمُ اتفـق

(٣٣)

وله يصف مجلس أُنس:

(من الرمل)

١. صاح نبِّه كلَّ صاح يصطَبِحْ فَضْلَةَ الزِّقّ الذي كان اغتَبَق

٢. قهوةً تحكي الذي في أضلعي من جوى الحُبّ ومن لفح الحُرَق

---

١) الشكد: ما كان موضوعاً في البيت من الطعام والشراب. وشكد الرجل: أعطاه.

٣. بيَدي ساقٍ ترى في طوقــه بَدرَ تمٍّ قد تجلّى في غَسَــق
٤. خلتُها إذ غربَت فــي ثغــره شمسها أبقت بخديه شفــق
٥. أُفرغ الماءُ عليــها فحكــت ذائب الإبريز أو ذوب ورِق[1]
٦. ان مِسكَ الليل قــد أعقبــه من سنَى الإصباح كافورٌ عبِق
٧. فكأن الفجر عيــن فُجِّــرت وكأن الليــل زنجــيٌّ غــرِق
٨. وكأن الأنجم الزُّهــر مــها راعه السِّرحان صُبحا فافترق

(٣٤)

وقال يمدح الظــافر عبــد الــرحمن بــن عبيــد الله بــن ذي النون:

(من الرجز)

١. يغلو لساني فيكم ومــا أفــك
٢. فاهزز به عضبا إذا هُزَّ فتك
٣. قائمه قلبــيَ والغِمدُ الحنَــك

(٣٥)

وقال:

(من الخفيف)

١. أنت وَسْطٌ ما بين ضدّين يا إنســـ ـــان رُكّبت صورة في هيولى

---

١) الإبريز: الذهب الخالص. والورق: الفضة النقية.

٢. إن عصيتَ الهوى علوتَ عُلــوّاً   أو أطعت الهوى سفلت سفولا

(٣٦)

وقال يصف فرسا للظافر عبــدالرحمن بــن عبيـــدالله بــن ذي النون:

(من الطويل)

١. وأَدهمَ من آل الوجيه و لاحق[١]   له الليــل لونٌ والصبــاح حجــولُ
٢. تحيَّر ماءُ الحسن فــوق أديمــه   فلولا التهــاب الخَصر ظَل يسيــلُ
٣. كأن هــلال الفطر لاح بوجهــه   فأعيُننــا شوقــاً إليـــه تميـــلُ
٤. كــأنَّ الرياح العاصــفات تقُلِّــه   إذا ابتــلَّ منـــه محزِم وتَليـــلُ[٢]
٥. إذا الظافرُ الميمون[٣] في متنه علا   بــدا الزهو في العطفين منه يجول
٦. فمن رام تشبيها له قال مُوجــزا   وان كان وصف الحسن منه يطول
٧. هــو الفَلَك الدوار في صَهَواتـــه   لبــدر الدياجــي مَطلـــعٌ وأُفــول

---

١) قال البطليوسي في شرح سقط الزند ١/٩١: الوجيه: فرس عتيق نسبت إليه الخيل العتاق، وأبوه أعوج بن سبل، وإخوتــه: لاحــق والمــذهب ومكتوم وكُنَّ لغنيّ بن أعصر.

٢) التليل: العنق.

٣) في القلائد: عابد الرحمن.

(٣٧)

وله في الزهد:

(من الطويل)

١. أمــرت إلهــي بالمكــارم كلِّــها ولم ترضَها إلا وأنــت لــها أهــلُ
٢. فقلت اصفحوا عمَّــن أساءَ إليــكمُ وعودوا بحلم منكُمُ إن بــدا جهْــلُ
٣. فهل لجهُول خاف صَعب ذنوبــه لديــك أمانٌ منك أو جانــبٌ سهلُ

(٣٨)

وقال يصف فرساً:

(من الكامل)

١. وأقبَّ[١] من آل الوجيه ولاحق قيد العيون وغايــة المتمثّــل
٢. مَلَكَ النواظرَ والقلوب بحسنه فمتى ترَقَّ العينُ فيه تسهَّــلِ
٣. ذو منْخِر رَحْبٍ وزوْرٍ ضيّــق وسماوةٍ خِصْــبٍ وأرض مُمْحِــل
٤. قصُرت له تسع وطالت أربــع وصفــت ثلاث منــه للمتــأمّــل
٥. وتــراه أحيانــا لعزّة نفســه يرنــو بــلا قَبَلٍ بعيــن الأقبَــلِ
٦. وكأنَّما ســال الظــلام بمتنــه وبــدا الصــباح بوجهــه المتهلّل
٧. وكأنّ راكبه على ظهر الصَّبا مــن سرعة أو فوق ظهر الشمال

---

١) الأقب: الضامر البطن.

(٣٩)

وقال يخاطب مكة:

(من الطويل)

١. أَ مكّةُ تفديـــكِ النفوسُ الكرائـــمُ ... و لا بَرِحت تنهلّ فيـــك الغمائـــمُ

٢. وكُفتْ أكفّ السوء عنك وبُلّغــت ... مُناها قلوبٌ، كي تراك، حوائـــمُ

٣. فإنّك بيتُ اللهِ والحرمُ الـــذي ... لعزّتهِ ذُلّ الملوكُ الأعاظـــمُ

٤. وقد رُفِعت منك القواعدُ بالتُّقى ... و شادتك أيـــدٍ بَرّةٌ ومعاصـــمُ

٥. وساويتِ في الفضل المقامَ،كلاكما[1] ... تُنـــالُ بــه الزُّلفى وتُمحى المآثمُ

٦. ومن أين تعدوكِ الفضائلُ كلُّها ... وفيك مقامات[2] الهدى والمعالمُ

٧. ومبعثُ من ساد الورَى وحوى العُلا ... بمولده عبـــدُ الإله وهاشـــــمُ

٨. نبيٌّ حوى فضلَ النبيّين واغتدى ... لهم أولا في فضلِهِ وهو خاتـــمُ

٩. و فيـــك يمينُ الله يلثِمها الورَى ... كما يلثِم اليُمنَى من الملْك لاثـــمُ

١٠. وفيك لإبراهيم إذْ وطِيءَ الثرى ... ضُحَى قَدَمٍ بُرهانُـــها متقـــادمُ

١١. دعا دعوةً فوق الصفا فأجابه ... قطوفٌ من الفجّ العميق

---

١) في القلائد: كلاهما، وهو تحريف.

٢) في القلائد: مقامات.

وراسمُ[1]

١٢. فأعجِبْ بدعوى لم تلج مِسْمَعَيْ فتى ... ولم يَعِــها إلا ذكــي وعالــــمُ

١٣. أَ لهفي لأقدارٍ عدت عنكِ همّتي ... فلم تنتهض مني إليك العزائــمُ

١٤. فيا ليت شعري هل أُرى فيك داعياً ... إذا ما دعت[2] لله فيك الغمائــمُ

١٥. وهل تمحُونَ عنّي خطايا اقترفتُها ... خطى فيك لي او يعملات رواسمُ

١٦. وهل لي من سُقيا حَجيجك شَربةٌ ... ومن زمزم يُروِي بها النفسَ حائمُ

١٧. وهل ليَ في أجر المُلبّين مَقسِمٌ ... إذا بُذلت للناس فيــكِ المقاســمُ

١٨. وكم زار مغناكِ المعظمَ مُجرِمٌ ... فحُطَّت به عنه الخطايا العظائــمُ

١٩. ومن أين لا يُضحى مُرجّيك آمناً ... وقد أمِنَت فيه المَــها والحمائــمُ

٢٠. لئن فاتني منك الذي أنا رائمٌ ... فإن هــوى نفسي عليك لدائمُ[3]

٢١. وإن يحمِني حامي المقادير ... عليك فانّي بالفــؤاد لــقــادمُ

---

١) القطوف من الدواب: البطيء ورسمت الناقة ترسم رسيماً: أثــرت فــي الأرض من شدة وطئها.

٢) في القلائد: جارت.

٣) في القلائد: لرائم.

مُقدماً

٢٢. عليكَ سلامُ اللهِ ما طاف طائف — بكعبتكِ العُليا وما قام قائــــمُ

٢٣. إذا نَسَمٌ لم تُهدِ عنّـــي تحيةً — إليكِ فمُهديــها الرياحُ النّــواسمُ

٢٤. أعوذُ بمن أسناكِ من شرِّ خلقهِ — ونفسِي فما منها سوى اللهِ عاصمُ

٢٥. وأهدي صلاتي والسلامَ لأحمد — لعلِّي به من كَبةَ النار سالمُ

(٤٠)

وقال يمدح القادر:

(من الطويل)

١. ضمانٌ على عينيك أنّي هائــمُ — تصدعُ قلبـــي حــول وصـــلك حائــمُ

٢. فؤادك قاسٍ ليس لي فيه رحمة — ويـــوهم منـــك اللحـــظُ أنَّــك راحــمُ

٣. ظلمت ولم ترهب مغبّة ما جنت — جفون لها فـــي العاشـــقين ملاحــمُ

٤. أظنُّ عقـــاب الله نالك في الهوى — فخصرك مظلومٌ وردفـــك ظالـــمُ

٥. ولحظك مضنى ما يفيق من الضنى — كما ضنَيت فيك الجسوم النواعم

٦. وخدك بالألحاظ يجرح دائبـــا — فكلٌّ لـــه بـــاللحـــظ مـــدمٍ وكالـــمُ

٧. يقولون غصنُ البان ما حاز خَصرهُ ... ودِعص[1] النقا ما حاز منه المعالم[2]

٨. وفـي طـوقه بدر الدُجنّةِ طالعٌ ... تجلّلـه قِطْـعٌ مـن الليـل فاحمُ

٩. وقالوا اللّمى المحمرُّ فصٌّ عقيقة ... بمبسمه المعسول والثغر خاتـمُ

١٠. لك المثلُ الأعلى وفي الجهل عاذرٌ ... بتقصيرهم أن لامـهم فيـك لائـمُ

١١. وما أنت إلا آيةُ اللهِ في الورى ... وحكمته إن قال بالعلـم عالـمُ

١٢. لقد بخسوك الحق جهلا وأخطأت ... بما رجمت فيـك الظنون الرواجـمُ

١٣. كما بخسوا يحيى بن ذي النون حقّه ... فقالوا ابن سُعدى في النـوال وحاتـمُ

١٤. وقالواحكى الضرغامَ في الروع بأسُه ... وذلـك مـا لا تدّعيـه الضـراغـمُ

١٥. وقالوا هو الدهر الذي ليس دونه ... حمـى وهـو المخدوم والدهر خادم

١٦. وأنّى لليث الغاب في الروع بأسه ... إذا صـال في الهيـجاء والنقع قاتـمُ

١٧. ومن أين للسيف الحُسام مضاؤه ... إذا انتُضِيـت للحرب منـه العزائـمُ

١٨. ومن أين للمزن الكَنَهْوَر[3] جودُه ... إذا انهملـت مـن راحتيـه المكـارم

١٩. لنا بارقٌ من بشره ليس خُلّباً ... إذا شامه يوما مـن الناس شائـم

٢٠. عليه من المأمون يحيى مشابه ... تُـرى ولإسـماعيل فيـه ميـاسـم

٢١. همامان شادا بيت مجد له التقى ... أسـاسٌ وأطـرافُ الرمـاح دعائـم

٢٢. أبا الحسن استنشقْ ثنائي فإنّما ... فـؤادي (دارين) وشـعري لطائـمُ[1]

---

١) الدعص: قور من الرمل مجتمع.

٢) العكم: الثوب يبسط، ويجعل فيه المتاع ويشد.

٣) الكنهور من السحاب: المتراكب الثخين.

٢٣. لبست حلى للفضل حائكها التقى ومَعلَمُها الأفضال والمجد راقمُ
٢٤. وأورثك المأمونُ صارمه الذي به لم تزل تغرى الطلى والجماجمُ
٢٥. فصمّم ولا تُحجِم فإنك صارمٌ حسامٌ ومنه في يد الله قائمُ
٢٦. لك السَّرحة الغنّاءُ في المجد لم تزل تروّضها من راحتيك الغمائمُ
٢٧. رياضٌ لنا سجع بمدحك وسطها كأنّا على أفنانهنَّ حمائمُ
٢٨. ودونك بكرا من ثنائي زففتها إليك كما زُفَّ الغواني الكرائمُ
٢٩. كستك بطليوسٌ بها عبقريةً كما انشقّ عن زهر الرياض كمائمُ
٣٠. وما أنت ذو فقر لما أنا واصف ولا أنا ذو إفكٍ بما أنا زاعم
٣١. سجاياك تملي الفخر والدهر كاتبٌ وعُلياك تعطي الدّرَّ والشعرُ ناظم
٣٢. فدم عامراً للمجدِ تعنو لك العدا وتحسِدُنا فيك النجوم النواجمُ

(٤١)

ولـه:

(من الطويل)

١. أخو العلم حيٌّ خالد بعد موته وأوصاله تحت التراب رميمُ

---

١) اللطيم واللطيمة: المسك أو الطيب. واللطيمة وعاء المسك.

٢. وذو الجهل ميتٌ وهو ماش على الثرى يُظَــنُّ مـــن الأحيــاء وهـــو عديـــم

(٤٢)

وله في الغزل:

(من الطويل)

١. أَ يا قمرا في وجنتيه نعيــمُ وبيــن ضــلوعي من هواء جحيمُ
٢. إلى كم أُقاسي منك روعا وقسوة وصــرْما وســتُقما إنَّ ذا لعظــيمُ
٣. وإنّي لأنهى النفس عنك تجلُّدا وأزعــمُ أنّــي بالســلوِّ زعيــمُ
٤. فإن خطرت بالقلب ذكراك خطرةً ظَلِلــتُ بــلا لُبٍّ إليــكَ أهيــمُ

(٤٣)

وقال يتغزل ويمدح:

(من الطويل)

١. خليليَّ هل تُقضَى لُبانــةُ هائــمِ أم الوجــدُ والتبريــحُ ضربـــةُ لازمِ
٢. فإنّي بما ألقى من الوجد مغــرمٌ كَســالٍ وقلبــي بائــحٌ مثـــل كاتــمِ
٣. ولي عَبَــراتٌ يستهــلُ غمامها بخدّي إذا لاحت بروقُ المباسم
٤. كفى حزنا أنّي أذوبُ صبابــةً وأشكو الذي ألقى إلى غير راحم
٥. وأرتع من خديه في جنّة المنى ويَصلَى فؤادي من هواهُ بجاحم
٦. تقضّى الصِّبا واللهوُ إلا حشاشةً تُجَــدِّدُ لــي عهــد الصِّــبا المتقــادم
٧. كأنّيَ لم أقطع بصُبح[1] وقهــوة زمانــي ولــم أنعــم بأحــور ناعــم

---

١) كذا؛ ولعله: بصنج.

٨. ولا بتُّ فـــي ليل الغَواية لاثما | لـــه تحت أستار الدجى وهـــو لاثمـــي
٩. إذا مـــا أدار الكأسَ وهناً حسبته | يديـــر هـــلالاً طالـــعا فــــي غمائـــم
١٠. أبا حسن[١] أنّي بودّك مُعصِمٌ | فهل أنت يوماً من جفائك عاصمي
١١. جعلتك في نفسي وقلبي محكَّماً | لترضى فقد أصبحت أجور حاكم
١٢. أ تظلِمني ودّي وما زال فيكم | قريـــعُ عُلًـــى يُرجـــى لـــردّ المظالـــم
١٣. وقد كان فَصَّ الفخر في خِنصَر العلا | أبـــوك ووسطى فوق جيـــد المكـــارم
١٤. وكم ضمَّ ظهرُ الأرض منكم وبطنها | بدور دجـــى من كل أشوس[٢] حـــازم
١٥. وأبلج فضفاض القميص حُلاحِل[٣] | طويل نجاد الســـيف ماضـــي العزائـــم
١٦. وما أذهلتني عن ودادك غيبةٌ | قدحتَ بها نار الأسى في حيازمي
١٧. وكم ليَ فيها نحوكم من تحية | أحمّلها مرضى الرياح النواسم
١٨. إذا مرَّ ذكرٌ منك يوماً على فمي | توهّمته مسكاً ســـرى في خياشمـــي
١٩. دعاني اليك الشوقُ فاهتاج طائري | ضحـــى بخوافٍ للهـــوى وقـــوادم
٢٠. ولو أنّني في مَلحَدي ودعوتني | للبّتك مـــن تحـــت الصعيـــد رمائمـــي
٢١. سأصفيك محضَ الوُدّ ما هبّت الصَّبا | وما سجعـــت في الأيك وُرق الحمائـــم

(٤٤)

وله في أولاد ابن الحاج[١]:

(من البسيط)

---

١) لعل المخاطب بهذه القصيدة القادر فهذه كنيته.

٢) الأشوس: وصف من الشوس، وهو النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظاً.

٣) الحلاحل: السيد في عشيرته الشجاع.

١. أخفيت سقميَ حتى كاد يُخيفني   وهمت فـــي حُبّ (عَزّونٍ) فَعزّوني
٢. ثم ارحموني (برَحمونٍ) فإن ظمئت   نفسي إلى ريق (حَسّونٍ) فحسّوني

---

١) كذا في أزهار الرياض ونفح الطيب، ويفهم من انباه الرواة أن الأبيـــات في أولاد علي الكاتب الذي كان يغمل عند ابن الحاج صاحب الشـــأن فيها.

(٤٥)

وله أيضاً في الزهد:

(من مجزوء الرمل)

١. قل لقــوم لا يتوبــون　　وعلــى الإثــم يُصــرّون

٢. خفِّفوا ثقل المعاصــي　　أفلــح القــوم المخفّــون

٣. ((لن تنالوا البِرَّ حتــى　　تنفقــوا ممّــا تحبّــون))

(٤٦)

وله أيضاً في الزهد:

(من الطويل)

١. وما دارُنا إلا مَواتٌ لو أنَّنــا　　نفكّر والأخرى هي الحَيَوانُ

٢. شرينا بها عِزّاً بهونٍ جهالةً[١]　　وشــتّانَ عزٌّ للفتى وهــوانُ

(٤٧)

وقال يمدح المستعين بالله صاحب سرقسطة[٢]:

(من الطويل)

١. همُ سلبوني حُسنَ صبريَ إذ بانوا　　بأقمار أطــواق مطــالعــها بــانُ

٢. لئن غادروني باللوى إنّ مهجتي　　مسايرةٌ أظعانهم حيثــما كانــوا

---

١) في القلائد: يهون جلالة، وهو تصحيف.

٢) أحمد بن محمد بن سليمان بن هود؛ حكم بين عامي ٤٧٨ــ٥٠١هــ.

٣. سقى عهدهم بالخيف عهدٌ غمائـــم ... ينازعها[١] مزنٌ من الدمع هتّانُ

٤. أَ أحبابنا هـــل ذلك العهـــد راجـــع ... وهل ليَ عنكم آخر الدهـــر سلوانُ

٥. ولي مقلةٌ عبرى و بين جوانـــحي ... فـــؤادٌ إلـــى لقياكمُ الدَّهرَ حنـــانُ

٦. تنكّرتِ الدنيا لنا بعد بُعدكـــم ... وحفّت[٢] بنا من معضل الخطب ألوانُ

٧. أناخت بنا في أرض (شَنْتَمريّـــةٍ) ... هواجسُ ظَنٍّ خُنَّ[٣] والظنُّ خَوّانُ

٨. وشمنا بروقاً للمواعيـــد أتعبـــت ... نواظرنا دهرا ولم يَهْمِ هَتّـــانُ[٤]

٩. فسرنا وما نلوي علـــى متـــعذّرٍ ... إذا وطنٌ أقصاك آوتك أوطـــانُ

١٠. ولا زاد إلا ما انتشته من الصَّبا ... أنوفٌ وحازته من الماء أجفـــانُ

١١. رحلنا سوامَ الحمدِ عنها لغيرها ... فلا ماؤها صُدًّا ولا النبتُ سَعدانُ[٥]

١٢. إلى ملكٍ حاباه بالمجد[٦] يوسفٌ ... وشاد له البيتَ الرفيعَ سليمانُ

١٣. إلى مستعين بالإلـــه مؤيّـــدٍ ... له النصر حزبٌ والمقادير أعوان

١٤. جفتنـــا بلا جُرْم كـــأن مـــودّةَ ... ثنى نحونا منها الأعنة شنـــآن

١٥. ولو لم تُفِد منّا سوى الشعر وحدَه ... لحُقّ لنا برٌّ عليه وإحسانُ

١٦. فكيف ولم نجعل بها الشعر مكسباً ... فيوجبَ للمُكدي جفاءٌ وحرمانُ

١٧. ولا نحن ممّن يرتضي الشعر خُطَّةً ... وإن قصَرت عن شأونا فيـــه أعيانُ

١٨. ومن أوهمته غير ذاك ظنونُـــه ... فثَمَّ مجالٌ للمقال وميـــــدانُ

---

١) في النفح: نهر.

٢) في الوفيات: وحلت.

٣) في النفح: خان.

٤) في النفح: تهتان.

٥) إشارة إلى قولهم في المثل: ماء ولا كصُدّاء نبت ولا كالسَّعدان.

٦) في الوفيات: بالحسن.

١٩. خليليّ من يُعدي على زمن له | إذا ما قضى حيفٌ عليـــوّعدوانُ
٢٠. وهل ريءَ من قبلي غريقُ مدامع | يفيض بعينيه الحيا وهو حــرّانُ
٢١. وهل طرفت عينٌ لمجد ولم تكن | لها مقلةٌ من آل هود وإنسانُ
٢٢. فوجه[1] ابن هود كلمّا أعرض الورى | صحيفةُ إقبالٍ لها البِشرُ عنوانُ
٢٣. فتى المجد في بُرديهِ بدرٌ وضيغمٌ | وبحرٌ وقدسٌ ذو الهضاب وثهلان
٢٤. من النَّفَرِ الشمّ[2] الذيــن أكفُّهم | غيوثٌ ولكنَّ الخواطرَ نيــرانُ
٢٥. ليوث شرى مازال منهم لدى الوغى | هزبرٌ بيمناه[3] من السحر ثعبانُ
٢٦. وهل فوق ما قد شاد مقتدرٌ لهم | ومؤتمــن بــالله لقياه إيــمــانُ
٢٧. إلا ليس فخرٌ في الورى غيرَ فخرهم | وإلا فإنَّ الفخر زورٌ وبهتانُ
٢٨. فيا مستعيــناً مستعاناً لمن نبا | به وطنٌ يوما وعظتــه أزمــانُ
٢٩. كسوتــك من نظمي قلائد مفخرٍ | يباهي بها جيدُ المعالي[4] ويزدانُ
٣٠. وإن قصّرت عمّا لبست فربَّما | تجاور درٌّ في النظام ومرجانُ
٣١. معان حكت غنجَ الحسان كأنّنــي | بهنَّ حبيبٌ أو بَطَلْيوسَ بغــدانُ
٣٢. إذا غرست كفاك غرس مكارم | بأرضيَ أجنتكَ الثنا منه أغصانُ

---

١) في القلائد: بوجه.
٢) في النفح: السمر.
٣) في القلائد: فيمناه.
٤) في النفح: الزمان.

(٤٨)

ولـه فـي النسيب:

(من الكامل)

١. نفسي الفداءُ لجُؤذرٍ، حلو اللَّمى   مستحسن، بصدوده أضناني[1]
٢. في فيه سمطا جوهرٍ، يروي الظما   او علّني ببروده أحياني

(٤٩)

ولـه فـي الردّ على ابن أبي الخصال الكاتب:

(من التقارب)

١. بماذا أُكافئُ نَدْبــاً كسانـــي   حِلًــى من عُلاه بها قد حباني
٢. و قلَّـــد جيـــديَ مـــن دُرّه   مـــا لـــم تقلَّد نحورُ الغوانـــي
٣. محاســـنُ أصبح لي لفظُها   مُعاراً وأضحت لديه المعانـــي
٤. فقل للذي حاز خَصْلَ المَدَى   فليس يباريه في السبق ثانـــي
٥. أهـــذي شمائـــلك الزاهـــرا   تُ أهديتَها أم ثغورُ الحِســـان
٦. أم الأنجمُ الزُّهـــرُ أطلعتـــها   علـــى أفُـــقٍ بســـماء البيـــان
٧. أم الوشيُ ما نمنمت راحتاك   أم الأعيُن الحورُ جاءت رَوَاني
٨. أم الروضُ بات نديمَ الغمام   يُسقِّيهِ من غير بِنـــتِ الدِّنـــان
٩. يضاحِكه عن ثُغور البروق   ويشدُوه من وعـــدهِ بالأغانـــي
١٠. لئن زُفَّ وُدُّك نحوي لـــقد   غدا من فؤادي بأعلى مكـــان

---

١) في النفح: أفناني.

١١. ومهما أساءت بطول البعاد   خطوبٌ فقد أحسنت بالتدانـــي
١٢. كأنَّ الزمــان أتــى تائبــاً   إلـــيّ وأنـــت اعتذارُ الزمــانِ

(٥٠)

ولـه عن نفسه:

(من المتقارب)

١. إذا سألونيَ عــن حالتـــي   وحاولت عذراً فلم يمكن
٢. أقـــول بخيـــرٍ ولكـــنَّـــه   كلامٌ يدور على الألسن
٣. وربُّك يعلم ما في الصّدور   ويـــعلم خائنـــة الأعيُن

(٥١)

ولـه ملغزاً يصف زربطانة[١]:

(من الوافر)

١. وذاتِ عَمًى لـها طَرْفٌ بصيرٌ   إذا رمِدَت فأبصرُ ما تكون
٢. لـها من غيرها نَفَسٌ مُعارٌ   ونـاظرها لدى الأبصار طِينٌ

---

١) الزربطانة والسبطانة: قناة جوفاء مضروبة بالعقب يرمى بهـــا الطيـــر. وقيل: بسهام صغار ينفخ فيها نفخاً فلا تكاد تخطئ.

أحد عشر: تخريج القصائد والمقطوعات

(١)

أزهار الرياض ٣/١٣٥.

(٢)

الحدائق ٣١.

(٣)

أزهار الرياض ٣/١٢٢.

(٤)

أزهار الرياض ٣/١٣٩ قلائد العقيان ٢٢٣.

(٥)

أزهار الرياض ٣/١٣٢.

(٦)

أزهار الرياض ٣/١٢٩.

(٧)

أزهار الرياض ١١٠/٣، نفح الطيب ٦٤٦/١.

(٨)

أزهار الرياض ١٠٩/٣، نفح الطيب ٦٤٥/١.

(٩)

أزهار الرياض ١٤٨/٣.

(١٠)

أزهار الرياض ١٣١/٣. المغرب ٣٨٥ (١،٢،٣،٤،٥).

(١١)

أزهار الرياض ١٣٢/٣.

(١٢)

أزهار الرياض ١١٦/٣. قلائد العقيان ٢٢٤.

(١٣)

مقدّمة المثلث ٢٢/١ نقلا عن مخطوط ترجمة ابن السِّيد للفتح بن خاقان.

(١٤)

أزهار الرياض ١٢٣/٣.

(١٥)

معجم السفر للسلفي ص٣٣، أخبار وتراجم أندلسية ٩٧.

(١٦)

أزهار الرياض ٣/١٠٧، قلائد العقيان ٢٢٢، نفح الطيب ١/٦٤٤، بدائع البدائه٣٠٩.

(١٧)

أزهار الرياض ٣/١٤٠، قلائد العقيان ٢٢٤.

(١٨)

الحدائق ٦٠.

(١٩)

أزهار الرياض ٣/١٢٧، نفح الطيب ١/٦٥٠.

(٢٠)

أزهار الرياض ٣/١٢٥.

(٢١)

أزهار الرياض ٣/١٣٣.

(٢٢)

أزهار الرياض ٣/١١٧، قلائد العقيان ٢٠٠.

(٢٣)

أزهار الرياض ٣/١٢٧، قلائـد العقيـان ٢٢٢، وفيات الأعيان ٣/٩٧ شذرات الذهب ٤/٦٥.

(٢٤)

أزهار الرياض ٣/١٣٤، نظم الدر والعقيان ٢٤٥و.

(٢٥)

أزهار الرياض ٣/١٤٦، قلائد العقيان ٢٢٨.

(٢٦)

أزهار الرياض ٣/١٢٠.

(٢٧)

أزهار الرياض ٣/١٣٤.

(٢٨)

أزهار الرياض ٣/١٤٦، قلائد العقيان ٢٢٤.

(٢٩)

أزهار الرياض ٣/١٣٤.

(٣٠)

أزهار الرياض ٣/١٤٥، قلائد العقيان ٢٢٧.

(٣١)

أزهار الرياض ٣/١١١.

(٣٢)

أزهار الرياض ٣/١١٣.

(٣٣)

أزهار الرياض ٣/١١٥.

(٣٤)

أزهار الرياض ١٢٨/٣.

(٣٥)

الحدائق ٢٩.

(٣٦)

أزهار الرياض ١٠٨/٣، قلائد العقيان ٢٢٩.

(٣٧)

أزهار الرياض ١٤٠/٣، قلائد العقيان ٢٢٣.

(٣٨)

أزهار الرياض ١٠٨/٣.

(٣٩)

أزهار الرياض ١٤٧/٣ قلائد العقيان ٢٣٠.

(٤٠)

أزهار الرياض ١٣٥/٣.

(٤١)

أزهار الرياض ١٠٣/٣، الصلة ٢٨٧/١، مرآة الجنان ٢٢٨/٣، وفيات الأعيان ٩٦/٣، بغية الوعاة ٢٨٨، انباه الرواة ١٤١/٢، شذرات الذهب ٦٥/٤، البداية والنهاية ١٩٨/١٢،روضات الجنات ٤٨، نفح الطيب ٢٢٨/٣.

(٤٢)

أزهار الرياض ٣/١٣٥.

(٤٣)

أزهار الرياض ٣/١٣٠.

(٤٤)

أزهار الرياض ٣/١٠٢، روضات الجنات ٤٨، بغية الوعاة ٢٨٨، انباه الرواة ٢/١٤٣، نفح الطيب ٣/٤٥٩،٢٨٧.

(٤٥)

معجم السفر للسلفي ص ٤٣، أخبار وتراجم أندلسية ٢٤.

(٤٦)

أزهار الرياض ٣/١٤٦، قلائد العقيان ٢٢٨.

(٤٧)

أزهار الرياض ٣/١٢١، وفيات الأعيان ٣/٩٧ (١ـ ٦، ١١، ١٢، ٢٤)، قلائد العقيان (١ـ١١،٦ـ٢٢،١٣ـ٢٦) نفح الطيب ١/٦٤٧.

(٤٨)

أزهار الرياض ٣/١٣٤، نظم الدر والعقيان: ورقة ٢٤٦، نفح الطيب ٣/٢٨٧،٥٦٧.

(٤٩)

أزهار الرياض ٣/ ١٣٣.

(٤٥٠)

المغرب ١/٣٨٥، نفح الطيب ١/١٨٥.

(٥١)

أزهار الرياض ٣/١٤١، قلائد العقيان ٢٢٥.

اثنا عشر: فهرس القوافي

١. قافية الهمزة

أرى الحمَّام موعظة وذكــرى لكلّ فتًى أريــبٍ ذي ذكـــاءِ

٢. قافية الباء

تتيه وقد أيقنت أنَّك ممكنٌ فكيف لو استيقنت أنك واجبُ!؟

تأوَّبه من همه مــا تــأوّبــا فبات على جمر الأسى متقلبــا

حلفتُ بثَغر قد حَمَى ريقَهُ العذبا وسل عليه من لواحظه عَضبُا

نفسي فداءُ كتاب حاز كل مني جاء الرسولُ به من عندِ محبوبِ

أبا عامر أنت الحبيبُ إلى قلبي وإن كنتُ دهرا من عتابك في حربِ

يا رُب ليل قد هتكتُ حجابــه بمُدامة وقادة كالكواكــبِ

سلِّ الهموم إذا نبا زمـــن بمُدامـــة صفراءَ كالذهــبِ

إليك أفِرُّ من ذُلّــي وذنبــي فأنتَ إذا لقيــتُ الله حسبــي

٣. قافية التاء

خليليَّ ما للريح أضحى نسيمُها   يذكرني ما قد مضى ونَسِيتُ

٤. قافية الحاء

طربتَ فأطربتَ الخليلَ إلى الذي   طربتَ لهُ فالنفسُ نحوك جانحَهْ

وَحِلـــمٌ أوسَعَ الدّنيا وقـــارا   وقد خفقت لَهُ خفق الجناحِ(١)

٥. قافية الدال

إلـهي إنِّي شاكر لـــك حامـــدُ   وإنِّي لساع في رضاك وجاهدُ

عسى عطفةٌ ممّن جفاني يُعيدُها   فتُقضَى لباناتي ويدنو بعيدُها

أَ إخواننا لِمْ غيَّرَ الدهرُ عهدَكُم   فصرتم لنا بعد الإخاءِ أعاديا؟

يا منظراً ان رمقت بهجتـــه   أذكَرَني حســـن جَنَّـــةِ الخلد

---

(١) قلائد العقيان: ٣/٨٠٣.

٦. قافية الراء

قل للَّذي غاص في بحر من الفِكَرِ بذهنه، فحَوَى ما شاء من دُرَرِ

يــا واصفـــاً ربّـــه بجهـــــل لم يقدرِ اللهَ حـــق قـــــدرِهْ

ومجلس جمّ الملاهي أزهـــرا ألذ في الأجفان من طعم الكرى

فؤاد قريحٌ قد جفا اصطِبارُهُ ودمعي أبتْ إلا انسكاباً غِزارُهُ

لعمري لقد شرفتَ وُدّي بثلبه وصيرتَ لي فضلاً عليك ومَفْخَرا

لعلّكـــمُ بعـــد التجنب والهَجْرِ تُديلونَ من بُعد وتَشفُونَ من ضُرِ

تُرى ليلُنا شابت نواصيه كَبْرَةً كما شبتْ أم في الجوّ روضٌ بَهارِ

طيفٌ سَرَى من خاطر القلبِ الذوي فوفى لنا بعِداتِه وقضى الوطَرْ

للمـــرءِ فــــي أيّامه عِبَـــرُ والصفوُ يَحدُثُ بعـــده كـــدر

قـــم نصطبح من قهوة بكـــر حتى نُرى صَرْعَى من السُّكْرِ

أهلا بتينٍ كالنهود حوالـــكٍ ضمّخن مسكاً شيب بالكافورِ

٧. قافية الصاد

تجوهُرك الأدنى عُنِيت بحفظه   وضيّعتَ من جهلٍ تجوهرَك الأقصى

٨. قافية الضاد

أيا ممرضاً جسمي بأجفانِهِ المرضى سلبتَ الكرى عنِّي فهَب منه لي البعضا

نبِّه الليل بالوجيف ولا تو لع بدار الهوان بالاغمـــاض

٩. قافية العين

أما إنَّه لو لا الدموع الهوامعُ لما بان منّي ما تُجِنُّ الأضالعُ

١٠. قافية القاف

عندي مشكودٌ من الخمَر عَبِق فيه مُنى مُصطَبحٍ ومُغتَبِقْ

صاح نبِّـــه كلَّ صاح يصطَبِحْ فَضْلَةَ الزِّقّ الذي كان اغتَبَقْ

١١. قافية الكاف

يغلو لساني فيكم ولم أفك

١٢. قافية اللام

أنت وَسْطُ ما بين ضدَّينِ يا إنســـ ـــان رُكّبت صورة في هيولى

وأَدهمَ من آل الوجيه ولاحق له الليل لونٌ والصباح حجولُ

أمرت إلهي بالمكارم كلِّها ولم ترضَها إلا وأنت لها أهلُ

وأقبَّ من آل الوجيه ولاحــق قيد العيون وغايـــة المتمثّل

١٣. قافية الميم

أَ مكة تفديكِ النفوسُ الكرائـــمُ ولا بَرِحت تنهلُّ فيك الغمائمُ

ضمانٌ على عينيك أنّي هائـــمُ تصدعُ قلبي حول وصلك حائمُ

أخو العلم حيٌّ خالد بعد موتـــه وأوصاله تحت التراب رميمُ

أَ يا قمرا فـــي وجنتيه نعيمُ وبين ضلوعي من هواء جحيمُ

خليليَّ هل تُقضَى لُبانةُ هائـــمِ أم الوجد والتبريحُ ضربةُ لازمِ

١٤. قافية النون

أخفيت سقميَ حتى كاد يُخيفني وهمت في حُبّ (عَزونٍ) فعزوني

قـــل لقوم لا يـــتـــوبــــون وعلى الإثــم يُصـــــــرّون

وما دارنا إلا مواتٌ لو أنَّنـــا نفكّر والأخرى هي الحيوان

همُ سلبوني حسن صبريَ إذ بانوا بأقمار أطواق مطالعها بانُ

نفسي الفداءُ لجُؤذرٍ، حلو اللَّمى مستحسنٍ، بصدوده، أضناني

بماذا أُكافـــئُ نَدْبـــاً كســانــــي حلًى من عُلاه بها قد حباني

إذا سألونـــيَ عـــن حالتـــي وحاولت عذراً فلم يتمكن

وذاتِ عمًى لها طَرْفٌ بصيرٌ إذا رمِدَت فأبصرُ ما تكون

ثالث عشر: فهرس الآيات

رابع عشر: فهرس الشواهد الشعرية

احتشامي	الطّرمّاح	٦٣
تحشّمي	عنترة	٦٣
ابتلانيا	المجنون	٩٣
بَليّ	أبو تمام	٦٥
شَجيّه	أبو دؤاد الإيادي	٦٦

خامس عشر: فهرس الأعلام

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ س ـ

ـ ص ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

– ع –

– ف –

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

ـ ي ـ

مصادر الدراسة والتحقيق

- **ابن السِّيد اللغوي:** خالد محسن ناجي، رسالة ماجستير؛ جامعة بغداد عام ١٩٧٥م.
- **أخبار وتراجم أندلسية:** أعدها د. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٣م.
- **أزهار الرياض:** المقري؛ القاهرة ١٩٤٢م.
- **الأشباه والنظائر:** السيوطي، ط ٢، حيدر آباد ١٣٦٠هـ .
- **إصلاح الخلل من كتاب الجمل:** ابن السِّيد البطليوسي: دراسة وتحقيق؛ سعيد عبد الكريم سعودي؛ بغداد ١٩٨٠م.
- **الاقتضاب في شرح أدب الكتاب:** ابن السِّيد البطليوسي؛ بيروت ١٩٠١م.
- **انباه الرواة:** القفطي، تحقيق أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٥٢م.
- **بدائع البدائه:** علي بن ظافر الأزدي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم،

القاهرة ١٩٧٠م.

❖ **بغية الوعاة:** السيوطي، ط ١، القاهرة ١٣٢٦هـ .

❖ **تاريخ الأدب الأندلسي، عصر المرابطين:** د. إحسان عباس؛ بيروت ١٩٦٢م.

❖ **تاريخ الفكر الأندلسي:** آنخل بالنثيا، ترجمة د. حسين مؤنس، ط ١، القاهرة ١٩٥٥م.

❖ **تاريخ الفلسفة الإسلامية:** هنري كوربان، ترجمة نصير مروة وحسن قبيسي، بيروت ١٩٦٦م.

❖ **الجامع في أخبار أبي العلاء:** محمد سليم الجندي، دمشق ١٩٦٢م.

❖ **الحدائق في المطالب الفلسفية العويصة:** ابن السِّيد البطليوسي، مصر ١٩٤٦م.

ـ طبعة أخرى بتحقيق: د. محمد رضوان الدّاية، دمشق ١٩٨٨م.

❖ **الحركة اللغوية في الأندلس:** ألبير حبيب

مطلق، بيروت ١٩٦٧م.

❖ **الديباج المذهب:** ابن فرحون، مصر ١٢٥١هـ.

❖ **ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة:** ابن السّيد البطليوسيّ؛ تحقيق: د. حمزة النّشرتي القاهرة عام ١٩٨٢م.

❖ **رسائل في اللغة:** تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، بغداد ١٩٦٤م.

❖ **روضات الجنات:** الخونساري، ط ٢، طهران ١٣٤٧هـ.

❖ **شذرات الذهب:** ابن العماد، مكتبة القدسي، القاهرة.

❖ **شرح جمل الزجاجي:** ابن عصفور الأشبيلي، تحقيق: د. صاحب أبو جناح بغداد ١٩٨٠م ، وأُعيد طبعه ببيروت عام ١٩٩٩م.

❖ **شروح سقط الزند:** دار الكتب المصرية، ١٩٤٥م.

❖ **الصلة:** ابن بشكوال، الدار المصرية للتأليف

والترجمة ١٩٦٦م.

❖ **قلائد العقيـــان:** الفـــتح بـــن خاقـــان، المكتبـــة العتيقة، تونس.

❖ **كتاب العين:** الفراهيـــديّ؛ الخليـــل بـــن أحمـــد (ت١٧٥هـــــــــ)؛ تحقيـــــــق: تحقيق: د. مهـــدي المخزومـــيّ وإبـــراهيم السّـــامرائيّ؛ بغـــداد، مطبعة العاني ١٩٨٢م.

❖ **المثلث:** ابن السّـــيد البطليوســـيّ؛ تحقيـــق: د. صلاح الفرطوسيّ، بغداد عـــام ١٩٨١م.

ـ طبعة أخرى بتحقيـــق: د. علـــي زويــــــن؛ وزارة الأوقـــــــاف والشّؤون الدّينية، بغداد.

❖ **المزهر في علوم اللغـــة:** الســـيوطي، تحقيـــق: أبـــو الفضـــــل إبـــراهيم ط٤، القاهرة ١٩٦٨م.

❖ **المسائل والأجوبة:** ابـــن السِّـــيد البلطيوســـي؛ مصـــورة عـــن نســـخة مكتبـــة الاسكوريال في مكتبـــة جامعـــة

البصرة المركزية.
ـ وحققه: محمد سعيد الحافظ، رسالةً للدكتوراه في كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٧م.

❖ **معجم البلدان:** ياقوت الحموي، ط أوربا.

❖ **معجم السفر:** السلفي؛ (مخطوط) مصورة عن معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية.

❖ **المغرب في حلى المغرب:** تحقيق د.شوقي ضيف، ط ٢، القاهرة ١٩٦٤م.

❖ **نظم الدر والعقيان:** التنسي؛ محمد بن عبد الجليل، مخطوطة مصورة في حوزة الزميل الدكتور نوري العوادي عن نسخة برلين رقم ١١٤٢ (تحت الطبع).

❖ **نفح الطيب:** المقري، ت د. إحسان عباس ، بيروت١٩٦٨.

- **هدية العارفين:** إســـماعيل باشـــا البغـــدادي، ط ٣، إسطمبول ١٩٥١م.
- **وفيـــات الأعيـــان:** ابـــن خلكـــان؛ تحقيـــق: د. إحســـــان عبــــاس، بيـــروت ١٩٧٠م.

محتويات الكتاب

طبع بمطبعة هيئة ادارة واستثمار اموال الوقف السني